بحوث جامعية

٢

أدوات المعرفة في القرآن الكريم

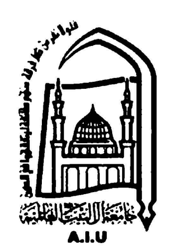
إعداد

الشيخ جواد أمين



جامعة آل البيت العالمية


بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية

وحدة البحوث ورسائل التخرج

أدوات المعرفة في القرآن الكريم



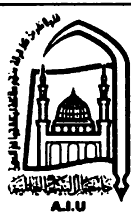
الأستاذ المشرف

حجة الإسلام والمسلمين الشيخ هاشم بوخمسين

إعداد

جواد أمين

عنوان و نام پدیدآور: ادوات المعرفة فی القرآن الکریم/ جواد امین
مشخصات نشر: قم، موسسة الکوثر للمعارف الإسلامیة، ۱٤۳۵ ق=۱۳۹۲.
مشخصات ظاهری: ۱٦۳ص.
شابک: ۹-۵-۹۲۹۵۱-٦۰۰-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیپا.
یادداشت: در اصل پایان نامه(لیسانس) - جامعة آل البیت(ع) العالمیة، ۱٤۳۳ ق=۱۳۹۲.
کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع: قرآن - بررسی و شناخت - تحقیق
رده بندی کنگره: ۱۳۹۲ ٤الف ۸الف/ ٦۵/٤ BP
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۵



عنوان البحث: أدوات المعرفة في القرآن الكريم
إعداد: جواد أمين
الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية
الطبعة: الأولى/ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ . ق
العدد: ١٠٠٠
شابك: ٩-٥-٩٢٩٥١-٦٠٠-٩٧٨
هاتف: ٠٠٩٨-٢٥١-٢٦١٣٨٨٣-٥
فكس: ٠٠٩٨-٢٥١-٢٦١٣٨٣٠
Email: aiu.qom@hotmail.com
الموقع: http://aiu.ac.ir
العنوان: قم/شارع مصلى جنوبي بين زقاق ٤و٦

الإهــداء

إلى مجالي الولاية ومعادن التأويل، الذين أعطوا كل ما عنـدهم لله فأعطـاهم الله تعالى كل ما عنده؛ إلى سادتي وموالي محمد وآل بيتـه الطيبـين الطـاهرين صـلوات الله عليهم أجمعين...

سيما بقية الله في الأرضين الحجة المهدي روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمـه الفداء..

إلـى الـسائرين علـى نهجـم، المغتـرفين مـن عـذب مـائهم، المـولهين بـذكرهم ومحبتهم، الفانين في ولايتهم، إلى عباد الله الصالحين...

إلى أبي، أمي واخوتي...

إلى زوجتي وابني المحاصرين من السفيانين في هذا العصر...

اهدي هذا العمل المتواضع..

يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنـا ببـضاعة مزجـاة فـأوف لنـا الكيـل وتـصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين.

شكر وتقدير

أتقدّم بالشكر الجزيل والإمتنان العميق إلى جميع الذين ساهموا في إنجاح وإتمام هذا البحث المتواضع؛ الإخوة الذين قدّموا المصادر للإستفادة منها، الإخوة الذين تفضّلوا بالاستشارات الفنيّة، الإخوة في أكاديمية الحكمة العقلية الذين أفادوني بالملاحظات العلميّة.

وأخصّ بالذكر، الأستاذ الفاضل الدكتور الشيخ هاشم أبو خمسين (أيده المولى)، الذي تحمّل عناء الإشراف على هذا البحث، متفضّلاً بإبداء ملاحظاته القيّمة، وتوجيهاته الثّمينة.

كما أشكر القيّمين على جامعة آل البيت (ع) العالمية، على جهودهم المبذولة لخدمة طلبة علوم آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين)، سائلاً المولى عزّ وجلّ للجميع التّوفيق والسّداد، إنّه رحيم كريم رؤوف بالعباد.

خلاصة الرسالة

إن موضوع المنهج المعرفي هو العصب الأساس الذي تبنى عليه جميع الإيديولوجيات والرؤى الكونية وهو الشغل الشاغل عند كل الأطراف في واقعنا الحياتي في هذا القرن وأنا في هذا البحث انطلقت من اسئلة كانت محط نقاش طويل مع نخبة من الشباب المؤمن والملتزم والمتنفس لعبير الولاية المحمدية فحاولت الإجابة على مجموعة من التساؤلات التي كانت تدور بيننا فأنطلقت من التعاريف التمهيدية والبحوث الأساسية لبيان معاني المفردات والألفاظ وتحرير ما قد يقع بين المتحاورين من خلاف ونزاع لأنني أدرك أن جملة لا بأس بها من الخلافات تنشأ من الإختلاف على الإلفاظ لا أكثر.

ثم بدأت بالتعرف على الأدوات المعرفية بمباحث اتعرف على كل أداة على حدا بتعريفها وبيان الفوارق في التقسيمات إن وجدت وبيان أنواع ذكرها ومعانيها في القرآن الكريم مع شرح تفسيري للآيات التي ورد ذكر تلك الأداة فيها وبعد ذلك في حدود وحجية وخصائص كل أداة بشكل موجز يمكن القارئ من أن يصل للمعلومة الدقيقة والبسيطة الكلفة ليتضح أمامه كيفية بناء منهجه المعرفي ورؤيته وايديولوجيته.

بعدها انتقلت في اطلالة موجزة ومختصرة على أمهات المدارس المعرفية الإسلامية عبر نبذة عن المؤسسين وبعض الأمور الخاصة بكل مدرسة ثم ختمت في توضيح المدرسة المعرفية التي اطلقها الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم وما هي العمدة فيها وبعدها ختمت بخاتمة البحث.

ففرضت أهم النتائج التي وصلت لها مثل: مساوقة العلم للمعرفة وأن الحس ناقل أمين وأن العقل هو من يجب أن توكل إليه رئاسة الحكومة المعرفية أرجو الله من بعدها أن يتقبل مني هذا القليل القليل فهذه بضاعة مزجاة ارجو قبولها يارب وأن توفي لي الكيل وأن تتصدق علي وعلى أهلي وزوجتي وابني وكل المستضعفين الوارثيين بفرج وليك وابن وليك القائم المنتظر روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء.

والحمد لله رب العالمين

مقدمة

الحمدلله رب العالمين وافضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين المصطفى الأمجد والمحمود الأحمد والبشير النذير والسراج المنير حبيبي وحبيب إله العالمين سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

لا شك إن المعرفة هي خليلة بني البشر، بل هي هويتهم وحقيقتهم، ولذلك سعى الإنسان منذ بدء الخليقة للتعرف على العالم وعلى كيفية بدء الكون والمعاد وغيرها من المور التي كانت تراوده من خلال حركاته وسكناته، كما عمل على تطوير العلوم والدراسات والبحاث في مختلف المجالات لفهم هذه الالمظاهر العلمية، ولم يتوقف عند هذا الحد بل بدا بدراسة أجهزة الحواس وتركيب المخ ومراكز الفهم لدى الإنسان ووصل إلى حد ما لفك رموز واسرار هذه الأجهزة والأعضاء كما توصل إلى علوم متقدمة وتحصل على نتائج وملاحظات مختلفة حول هذه الظواهر. إن علم المعرفة يرجع إلى تاريخ سحيق فقد كان ينظرإليه سابقا بإعتباره جزء من علم الفلسفة أما اليوم فقد أصبح علما قائما بحد ذاته فيسمى بعلم المعرفة او بنظرية المعرفة وبذلك يكون فرعا مستقلا ومنفصلا عن الفلسفة.

لقد بدأ هذا العلم في الغرب بشيء من الشك والحيرة والتخبط وواجه آراء مختلفة لكن سرعان ما تطورت هذه الآراء ليصبح علما جديدا بل أصبح واحدا من ألمع الإختصاصات العلمية.

أما في الحوزات العلمية فقد لأخذ علم المعرفة في البداية شعارا تقليديا ثم بدأ البحث فيه ونتجت العديد من المقالات والكتابات بعضها الجيد وبعضها فاقد للضوابط العلمية الدقية، إلى أن أخذ العلماء الأعلام بتنظيم هذا العلم ليفتحوا فيه الآفاق العظيمة حتى نتج لدينا الكثير من الكتب والمراجع المميزة في هذه العلم سواءاً على المستوى القرآني أو الروائي...

أما مايدعو على الفخر والمسؤولية هو تأكيد الإسلام الحنيف خاصة في الكتاب الدستور الكتاب العظيم على أهمية كسب العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[١].

فالدين الإسلامي هو دين العلم والمعرفة، هو الدين الذي كانت أول آية نزلت فيه على نبينا المصطفى ﷺ تدعوه إلى العلم والقراءة وتحصيل المعرفة. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢].

ومن هذا المنطلق وبعد مضي هذه السنين القليلة من عمري الحوزوي احببت ان انمي قدراتي واعزز امكانياتي بكتابة موضوع لطالما كان يشغلني خاصة في ظل هذا العصر الذي نعيش تطورا فكريا في بعض المجتمعات عبر العلوم المتعددة وبنفس الوقت نعيش في بعض زوايا مجتمعاتنا وفي المجتمعات الأخرى انحدارا فكريا عنيفا تصل بنا الأمور إلى ان نشاهد كيف أن مجموعة من الناس يقلبون الحقائق

١. آل عمران الآية /١٦٤/.
٢. العلق الآية /١ـ٥/.

ويزيفونها ويضللون الناس بأساليب وطرق متعددة لذا كتبت هذا البحث راجيا اولا القبول من الله تبارك وتعالى وثانيا ان اقدم مادة سهلة يسيرة لكل من يريد قراءة هذا البحث أو من يرغب في التعرف على المعرفة وماهي أدواتها في القرآن الكريم مهما كان مستواه ودرجة ثقافته.

والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تعريف موضوع البحث

يعتبر العلم الباحث عن أدوات المعرفة وحدودها وحجيتها من أهم العلوم التخصصية في الوقت الحاضر لما له من أهمية بالغة في تشكيل الرؤية الكونية والإيديولوجية السلوكية والعملية للإنسان وخاصة في الوضع الراهن حيث يعيش شبابنا أزمة معرفية بالغة الخطورة فرأيت انه من المهم الكتابة في هذا المضمار كل استفيد أنا أولاً ويستفيد إخواني ثانية.

أهمية البحث

إن اهمية البحث نابعة من المساحة العلاجية التي يتكفل بها وإذا ما نظرنا لهذه المساحة فسوف نجدها مساحة عظيمة وواسعة ولا حدود لها كيف لا ونحن نبحث عن الأدوات الناظمة للعمل المعرفي.

فأهمية البحث نابعة من أهمية معرفة الأدوات وامكاناتها ومن معرفة نقاط الضعف والوهن الفكري والمعرفي في مجتمعاتنا وغيره من هنا تأتي الأهمية.

سابقة البحث

لقد كتبت في هذا المضمار الكثير من الكتابات وعلى مختلف المشارب الدينية واللادينية حيث كانت تبنى الدراسة وفقا للمعتقد الذي يحكم الباحث وبغض النظر عن ذلك كان هناك بعض الكتابات الإيجابية والجيدة والتي أضافت غناء لهذا العلم تحديداً.

اسئلة البحث

السؤال الأساسي في البحث:

ـ ما هي أدوات المعرفة في القرآن الكريم؟

وأما الأسئلة الفرعية فكثيرة أهمها:

ـ ماهي الأداة وماهي المعرفة؟

ـ هل الحس من أدوات المعرفة؟

ـ هل العقل من أدوات المعرفة؟

ـ هل القلب من أدوات المعرفة؟

ـ هل الوحي من أدوات المعرفة؟

ـ ما هي المدارس المعرفية الإسلامية؟

خطة ومنهجية البحث:

في الواقع كان كثير من أمور هذا البحث قد وضعت بلمسات من أستاذي الذي أحب وأفخر سماحة الدكتور الشيخ هاشم أبو خمسين ـ حفظه الله ـ والمنهجية المتبعة سواءأتقسيمات الفصول المعتمدةأو الطريقة والمنهجية المتبعة ضمن كل فصل.

حيث قسمت الرسالة إلى ثلاثة فصول الأول كان عبارة عن بحوث تمهيدية ضم التعاريف اللغوية والإصطلاحية في قسمه الأول وبحوث أساسية تضمنت مباحث ذات ربط بالموضوع المبحوث.

أما الفصل الثاني فقد تضمن أربع مباحث تناولت في كل مبحث إحدى آدوات المعرفة وقمت بدراسته لغوياًثم اصطلاحياً ثم ذكرت بعض الآيات الواردة في

القرآن الكريم والتي تتحدث عن هذه الآداة ثم مناقشة انهامعرفية أم لا وبيان حدودها وخصائصها وغيره من الأمور المربوطة ذات الصلة.

ثم ختمت البحث بفصل ثالث وأخير كان مداره إطلالة بسيطة وقصيرة على أهم المدارس المعرفية الإسلامية بإعطاء نبذة مختصرة حول كل واحدة منها.

الجديد في البحث

برأي وبرأي العديد من الأخوة إن مايميز الرسالة بما هو جديد جملة من الأمور مع ما يسجل عليها من ملاحظات سلبية وأخطاء وما شابه، والجديد فيها:

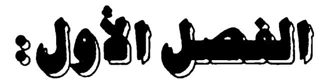
١ـ سهولة المعاني والتنقل من دون تكلف.

٢ـ الربط إلى حد ما بين المعاني اللغوية والإصطلاحية والإستفادة من المناقشة التفسيرية لعلمائنا أهل التفسير.

٣ـ التعرف على الخصائص والحدود وما هو مربوط بكل آداة بشكل واضح سواءاً عبر التقسيمات أو غيره مما يسهل الفهم على القارئ ويعمم الإستفادة ويزيد من حجمها.

٤ـ الشمولية في طرح النقاط والتقسيمات في أغلب مباحث الرسالة ولو بالحد والمقدار البسيط مما يمكن القارئ من أن يمسك برأس الخيط الذي ينقله إلى مساحة أعلى وأعمق من دون عناء.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



بحوث تمهيدية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعاريف

أولا: الأدوات لغة واصطلاحا.

ثانيا: المعرفة لغة واصطلاحا.

ثالثا: القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

رابعا: تعريف العلم وأقسامه.

المبحث الثاني: مباحث اساسية

أولا: الفكر وأركانه.

ثانيا: دور ادوات المعرفة في بناء الفكر الإنساني.

ثالثا: تقسيمات المعرفة.

رابعا: المعرفة ..اهميتها..ضرورتها..قيمتها.

خامسا: إمكان المعرفة.

سادسا: نوافذ المعرفة.

سابعا: موانع المعرفة.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الأول: تعاريف

أولاً ـ الأدوات لغة واصطلاحاً:

أ ـ الأدوات لغة:

١ـ يقول الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ): الآدوات مفردها أداة أصل ألفها واو، لإنك تقول أدوات، لكل ذي حرفة أداة، وهي آلتهُ يقيم بها حرفتهُ.

وأداة الحرب: السلاح، ورجل مؤد: يعني كامل السلاح.[1]

٢ـ الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) يقول:من الألفاظ المشابهة للأداة الآلة وتعرف لغة بالجنازة وتعرف الأداة بالآلة:جمعها آلات، والآلة أيضاً: واحدة الآل والآلات وهي خشبات تبنى عليها الخيمة.[2]

٣ـ ومما ورد في تعريف الآلة لابن منظور(ت ٧١١ هـ): الآلة هي الشدة، والآلة: الأداة، والجمع آلات والآلة ما اعتملت به من لأداة، يكون واحداً وجمعاً وقيل هو جمع لا واحد لهُ من لفظه. وقول علي عليه السلام: تستعمل آلة الدين في طلب الدنيا، وإنما يعني به العلم لأنّ الدين إنما يقوم بالعلم، والآلة: الحالة والجمع الآل. يقال: هو بآلة سوء. قال الراجز:

قد أركب الآلة بعد الآله   واترك العاجز بالجداله[3]

---

١. الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ج ٨، ص ٩٨.

٢. الجوهري، الصحاح، ج ٤، ص ١٦٢٧.

٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٣٩.

ب ـ أما الأدوات اصطلاحاً:

من خلال بحثي وجدت العديد ـ إن لم اقل الأغلب ـ من تعاريف كلمة الأداة عند الفقهاء أو الأصوليين أو غيرهم لم تخرج عن دائرة المعنى اللغوي عندما يذكرونها في دراساتهم وتحقيقاتهم لذا سأذكر تعريفين.

الأول: لإخوان الصفا الذين عرفوا الآداة: بأنها الشيء الذي يستعملهُ الصانع في صنعته أو في أمر آخر أو صنعة أخرى.[١]

الثاني: للخواجة الطوسي لها حيث قال: (الآلة مايؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بتوسطه)[٢]

والخلاصة أن الأداة هي الواسطة او الوسيلة التي يستعان بها على أداء عمل من الاعمال.

أو هي الآلة التي تقيم الصنعة أو أي تخصص منه التخصصات فأداة الحرب سلاحها.

ثانياً: المعرفة لغة واصطلاحاً

أ ـ المعرفة لغة:

١ـ يقول الخليل الفراهيدي(ت ١٧٥هـ): عرف: من عرفت الشيء معرفة وعرفاناً. وأمر عارف، معروف، عريف والعرف المعروف.[٣]

٢ـ أما الجوهري(ت ٣٩٣هـ) في صحاحه يقول:

---

١. اخوان الصفا، الرسائل، ج ١، ص ٢١٢.

٢. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات:ج١،ص ١٠

٣ . الخليل الفراهيدي، كتاب العين ،ج٢،ص١٢٤.

عرف: عرفتهُ معرفة وعرفاناً وقولهم: ما اعرف لأحد يصرعني، أي ما أعترف وعرفت الفرس أي جزرت عرفهُ والعرف: الريح طيبة كانت أو منتنة.

والمعروف ضد المنكر والعرف ضد النكر.ويقال: أولاهُ عرفاً أي معروفاً.

٣ـ عند ابن منظور(ت ٧١١هـ): يقول عرف من العرفان والعلم ويقول أيضاً عرفهُ يعرفهُ عرفة وعرفاناً ومعرفة واعترفه قال ابو ذؤيب يصف سحاباً:

مرتهُ النعامى، فلم يعترف   خلاف النعامى من الشام ريحاً

ورجل عروف وعروفة: أي عارف يعرف الأمور ولاينكر أحداً رآه مرة والهاء في عروفة للمبالغة والعريف والعارف بمعنى مثل عليهم وعالم....

ومن خلال فهمي لما اتى به ابن منظور استطيع القول بأنه لايرى ضيراً في أن يطلق عبارة العلم على كل نوع من انواع المعارف سواءاً أكانت معرفة تصويرية أم تصديقية بديهية أو فطرية بواسطة أو بدونه، جزئية أو كلية... وبناء على ذلك فإن كل ما يتعلقه بالمعلومات يطلبه عليه عبارة معرفة.

ب ـ المعرفة اصطلاحاً:

لقد عرفت المعرفة أو نظرية المعرفة بتعاريف متعددة وأشكال مختلفة وقد وقع الخلاف فقسم قال بإمكانية تعريفها وقسم آخر لم ير وجود تعريف لها.

١ـ القائلون بعدم التعريف: فهناك مجموعة من الاعلام منهم أية الله جوادي أملي في كتابه نظرية المعرفة في القرآن حيث قال انهُ لايوجد تعريف للمعرفة لبداهتها بدليل تعريفنا لجميع الأشياء بالعلم وبذلك كيف نعرف العلم بالعلم فهذا يستلزم الدورية[١] وبنفس القول قال أية الله السبحاني[٢] مؤكداً كلامهُ بما ذهب إليه

١. أية الله جوادي أملي، نظرية المعرفة في القرآن،ص٦٣.

٢. أية الله السبحاني، نظرية المعرفة، ص ١٧ ـ ١٨.

إمام الحرمين أبوالمعالي الجُويني وبما قالهُ الغزالي في ذلك[١] بأن تعريف العلم ليس ضرورياً.

٢ ـ القائلون بالتعريف: وأما من عرف المعرفة اصطلاحاً من دون إضافة أي كلمة فيوجد عندنا تعاريف كثيرة منها.

١ـ تعريف الجرجاني حيث يقول: إن المعرفة هي إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم ولذلك يسمى الحقّ تبارك وتعالى دون العارف[٢] وعرّفها الرازي: بأنها عبارة عن حصول العلم بعد الإلتباس والمعرفة تستدعي سبق الجهل.[٣]

وهناك من عرفها بإضافة كلمة للمعرفة مثلاً المعرفة المباشرة.

٣ـ عرفها ليموديت: هي المعرفة التي تنتفي فيها الواسطة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.[٤]

٤ـ وعرفها الفيلسوف لالاند في معجمه الفلسفي حيث قال: إن نظرية المعرفة (أو علم المعرفة على اختلاف الترجمات)هي إنشاء تأملي للفكر يربط نتائج بمبادئ وانها فلسفة العلوم وبالتالي تختلف عن علم مناهج العلوم (ميثودو لوجيا)لان (الابيستمو لوجيا) تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها.[٥]

---

١. الجرجاني، راجع شرح المواقف، ج ١، ص ٦١ ـ ٦٢.

٢. الجرجاني، التعريفات، ص ٢٠٠.

٣. الفخر الرازي، التفسير الكبير، م ١، ج ٢، ص ٢٠١.

٤. لجنة التأليف في جامعة القاهرة،المعجم الفلسفي، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

٥. لالاند، المعجم الفلسفي، ج ١، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

٥ـ وتعرف أيضاً بأنها ثمرة التقابل والاتصال بين ذات مدركة وموضوع مدرك.[١]

بعد كل هذه التعاريف يلاحظ أنها تعاريف إجمالية وليست تعاريف دقيقة يستطيع القارئ أن يرتكز عليها ويشيد بنيانهُ المعرفي المحكم من اجل بناء المنظومة والمعرفية والمنظومة العلمية.

الرأي المختار:

وأما التعريف المختار فهو لأستاذي الدكتور أيمن المصري حيث يقول أن المقصود بالمعرفة هو مطلق حصول المعلوم لدى العالم، اعم من كونه حصولياً أو حضورياً، كلياً أو جزئياً بديهياً أو كسبياً، نظرياً أو عملياً[٢]

ويعرف علم المعرفة بتعريف آخر فيقول إن علم المعرفة هو العلم الباحث عن العوارض الذاتية للمناهج المعرفية الكاشفة عند الواقع والمستعملة في إثبات مسائل العلوم.[٣] والتعريف الأخير هو التعريف الدقيق.

جـ ـ المعرفة في القرآن:

إن بيان ماهية المعرفة التي تحدث عنها القرآن الكريم لا تحتاج إلى مؤونة زائدة بل هي واضحة وجلية لكنني سأنقل ما قاله الراغب ومن بعد ذلك سأذكر ما فهمته أنا العبد القاصر فأما الراغب الأصفهاني فهو يرى وجود فرق بين العلم والمعرفة حيث لايمكننا إطلاق كلمة المعرفة أو العرفان على كل انواع بالمعلومات. بل على نوع معين من العلم والذي يقصد منهُ الإدراك العميق المصاحب للتدبر والتفكر[٤].

---

١. إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، ص ١٨٧.

٢. الدكتورالشيخ أيمن المصري، اصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٢٩.

٣. لجنة التأليف في اكاديمية الحكمة العقلية، مناهج التفكير، ص٨

٤. الرغب الأصفهاني ـ مفردات القرآن الكريم ـ ص٣٣١.

هذا قول الراغب وأما ما افهمه من بيان ماهية المعرفة فهو أن المعرفة هي مطلق العلم والإدراك لكل المعلومات التي تطابق الواقع وتكشف عنه والتي يمكن الحصول عليها بواسطة الآدوات المعرفية المعينة.

هذا ما خلصت إليه من خلال قراتي لأكثر تفاسير القرآن الكريم من المدرستين حيث وجدت أن العلم والمعرفة في القرآن لهما المعنى ذاته كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[١].

حيث نلاحظ تكرر عبارة المعرفة مرتين في هذه الآية وعبارة العلم. مرة واحدة وكلتاهما جاءتا بمعنى العلم المطلق والإدراك وكما هو معروف فإن الإدراك الحاصل عن طريق النظر وعن طريق لحن القول أو الكلام هو نوع من أنواع المعرفة الظاهرية.

ومن جهة ثانية أقول إن العلم والمعرفة في القرآن الكريم ليسا مختصين بالعلوم الدينية من أصول وعقائدوأحكام فقط بل يشملان جميع المعلومات النافعة سواءاً أكانت دنيوية أم أخروية إذ أن الآيات تقسم إلى طائفتين:

١ـ **الطائفة الأولى**: آيات أطلق فيها العلم والمعرفة على العلوم الدنيوية منها صناعة الدروع قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾[٢] وعلم لغة الطيور قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[٣] وعلم التفسير والتأويل قال تعالى:﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[٤].

---

١. محمد: الآية ٣٠.

٢. الانبياء: الآية ٨٠

٣. النمل: الاية ١٦.

٤. يوسف: الاية ٢١.

٢ـ الطائفة الثانية: آيات اطلقت فيها عبارة العلم بشكل مطلق وعام بدون أي قيد:

كالمقارنة بين العلماء وغيرهم كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١] أو الاية التي تبين الإختلاف في درجات العلماء من جهة علمهم بين علم العلماء يقول عز من قائل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

ولو نظرنا وتأملنا في أحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام لوجدنا ان بعضها لم يخصص أي نوع من العلوم أو المعارف بل كان الهدف تعلم العلوم أو تعلم أي علم وبطبيعة الحال لابد منه أن يستخدم في رضا الله تبارك وتعالى ـ فعن الرسول العربي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: اطلبوا العلم ولو في الصين.[٣]

وبما أنني مازلت في مبحث المعرفة فسأذكر ملاحظتين هامتين عن المعرفة النافعة أو العلم النافع ما شئت فعبر... .

الأولى: يقول الإمام الخميني قدس سره: لم يكتف الاسلام بالإهتمام بنوعي العلم أو المعرفة بل اهتم أيضاً بتوجيهها وتسخيرها لرضا الخالق وخدمة الخلق.

لقد أرادت الثقافة الدينية من كافة المتعلمين في جميع الاختصاصات العلمية أن يوجهوا علومهم لخدمة الله ومعرفته وللإيمان به وبالتالي لخدمة الناس لكي يحصل على رضا الله عز وجل[٤].

الثانية: وهي قول الشهيد مطهري رحمه الله بأنه يمكننا أن نستنتج من التفسير والبحث الروائي للقرآن الكريم أن كل معرفة نافعة أو علم نافع يختص بالاسلام والمسلمين

---

١. الزمر: الآية ٩١

٢. يوسف: الاية ٧٦.

٣. بحارالأنوار، ج ١، ص ١٨٠.

٤. الإمام الخميني قدس سره، تفسير سورة الحمد،ص ٢١ ـ ٢٢.

يجب أن يعد علماً من العلوم الدينية لان حاكمية وخاتمية الإسلام تقتضي أن نعتبر ان كل علم مفيد ونافع وكل معرفة مفيدة ونافعة ولازمة لابد ان تكون علماً دينياً.[١]

ثالثا: القرآن الكريم لغة واصطلاحاً:

أ ـ القرآن الكريم لغة: القرآن اسم خاص للكتاب المنزل من الله تبارك وتعالى على نبي الرحمة محمد بن عبدالله ﷺ ليكون تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمة للعالمين. وقد جاء ذكره في القرآن في أكثر من خمسين مرة محلى بالألف واللام نحو قوله عز من قائل: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٢].

وقد ذكر بدون تحلية في خمسة عشر موضعاً نحو قوله عز من قائل: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾[٣].

وكلمة قرآن من أصل عربي من مصدر: قرأ، يقرأ، قراءة وقرآناً على وزن غفران ورُجحان وكُفران حيث جاء استعمالها في القرآن مصدراً في قوله عزوجل من قائل: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. ولهذا المصدر تشقيقات على مستوى التصريف والإشتقاق كثيرة.

أما المعنى اللغوي للقرآن فمادته الأصلية كما أسلفت من مادة قرأ.

١ـ يقول ابن فارس(ت ٣٩٥ هـ): القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع ولاجتماع. ومن ذلك القرية حيث سميت قرية لإجتماع الناس فيها ومن باب القرى: الظهر حيث سمي بذلك لإجتماع العظام فيه.[٤]

---

١. الشهيد مرتضى مطهري الكلمات العشرة فريضة العلم، ص ١٧٣.

٢. الأنعام: الآية ١٩.

٣. الإسراء: الاية ١٠٦.

٤. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٧٨.

٢ ـ ويقول الراغب(ت ٥٠٢ هـ) في مفرداته: أن القرآن في الأصل مصدرٌ نحو كفران ورجحان وقد خصص بالكتاب المنزل على النبي الأكرم محمد ﷺ فصار كالعلم.[١]

وبحسب ما ينقل عن علمائنا الأعلام في سبب تسمية هذا الكتاب العظيم بالقرآن نظراً لما جمع من علوم ومعارف وقصص وأحكام وغيرها ولكونه قد جمع أيضاً خلاصة تجارب الأقوام السابقة وبالتالي نقل هذا الإسم من المصدرية إلى العلمية.

٣ ـ أما ابن منظور(ت ٧١١ هـ) فيقول: قرأ القرآن: التنزيل العزيز، قرأه يقرؤه ويُقرّؤه، الأخيرة عن الزجاج ومعنى القرآن معنى الجمع كما يقول أبو إسحاق وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمنها وقولهُ تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، أي جمعهُ وقراءته وقراءة وقرأت الشيء قرآنا: أي جمعتهُ وضممت بعضُه إلى بعض.[٢]

ب ـــ القرآن الكريم اصطلاحاً:

إن القرآن الكريم اسمى وأشهر من أن يعرف بأي تعريف ولكن للضرورة البحث وكما جرت عليه العادة في القواعد البحثية والتحقيقية فقد عرف القرآن الكريم بتعاريف كثيرة بصيغ متقاربة إلى أحد كبير ومن هذا المنطق نقلت مجموعة من التعاريف اخترتها من كتب الفريقين اذكر منها:

١ـ تعريف الغزالي حيث يعرف القرآن الكريم: بأنه الكلام القائم بذات الله تبارك وتعالى، وما نقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً.[٣]

---

١. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٤٠١.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١٢٨.

٣. الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ٦٥.

٢ــ وعرف القرآن الكريم أيضاً بأنه الكتاب المنزل على رسول الله ﷺ والمكتوب في المصاحف والمنقول إلينا نقلاً متواتراً بلا شبهة.[(١)]

٣ـ ماعرفهُ الشهيد السيد محمد باقر الحكيم (رض) في كتابه الموسوم بعلوم القرآن فقال بأنّه الكلام المعجز المنزل وحياً على النبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنهُ بالتواتر المتعبد بتلاوته[(٢)]، وهو التعريف المختار.

رابعاً ـ تعريف العلم وأقسامهُ :

إن العلم والمعرفة قيمتان هامتان في حياة الإنسان حيث تضيفان لهُ الكثير من لياقات الإستعداد على كافة المستويات والمجالات نظراً لوجود ترابط قوي جداً فيما بينهما وكما بينت في تعريف المعرفة ان البعض لم يقل بوجود فارق بينها وبين العلم والبعض قال بوجود فارق فيها ومن اجل استكمال البحث أرتئيت أن أفرد بحثاً قصيراً في تعريف العلم وبيان أقسامه معتمداً على رأي المناطقة لإن للعلم تعاريف كثيرة فالحكماء عرفوا العلم وكذلك علماء الأخلاق والعرفان وأهل اللغة كذلك إلا أنني سأكتفي بعرض تعاريف أهل المنطق وحسب.

١ـ تعريف الشيخ المظفر للعلم حيث يقول: "هو حضور صورة الشيء عند العقل أو فقل انطباعها في العقل"[(٣)].

وعندما نقول حضور صورة الشيء أو انطباق تلك الصور في العقل مرادنا من العقل هو القوة المدركة للنفس الانسانية.

---

١. فخر الإسلام البزدوي، اصول الفقه، ج ٢، ص ٢١ ـ ٢٣.

٢. الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٣.

٣. الشيخ محمد رضا المظفر، منطق المظفر، ص ١٣.

٢ـ وعرفه الجلالي رَحِمَهُ اللهُ: "بأنه الصورة الحاصلة من الشيء في الذهن".[١]

وعرف أيضاً: هو حضور المعلوم عند العالم.[٢] أما أقسام العلم: فيقسم العلم إلى قسمين بلحاظ تحصيل المعلوم:

أ ـ علم حضوري: هو حضورنفس المعلوم لدى العالم.

ب ـ علم حصولي: هو حضور صورة المعلوم لدى العالم. وهذا العلم ينقسم إلى قسمين:

١ـ التصور: هو إدراك الشيء من دون الإعتقاد بالنسبة.

٢ـ التصديق: هو أدراك الشيء مع الإعتقاد بالنسبة إلى آخر.

ويقسم كل منهما إلى قسمين فيصبح لدينا أربعة أقسام وهي:

١ـ التصور البديهي: وهو ما لايحتاج في حصوله أو إدراكه إلى كسب ونظر وفكر كتصورنا لمفهوم الوجود والعدم.

٢ـ التصور النظري: وهو ما يحتاج في حصوله أو إدراكه إلى كسب نظر وفكر كتصورنا لحقيقة الروح والكهرباء.

٣ـ التصديق البديهي: وهو الذي لايتوقف على غيره لحكم النفس على صدقه بذاته كالحكم بأن الكل أعظم من الجزء.

٤ـ التصديق النظري: وهو الذي يتوقف على غيره لحكم النفس على صدقه ككون العالم حادث والنفس مجردة.[٣]

---

١. آية الله السيد محمد تقي الجلالي، علم المنطق، ص ص ٢٤.

٢. العلامة الطباطبائي، نهاية الحكمة، ص ٢٩٧.

٣. السيد كمال الحيدري، شرح كتاب المنطق، ج١، ص٣٥ـ٧٢.

والخلاصة:

صحيح أنني أرى أن العلم والمعرفة متساوقان إلا أنني عرجت على تعريف العلم من أجل إيصال القارئ إلى معرفة دقيقة لكل منهما لأنّ الكثير من الكتاب يبقي الأخ القارئ أو الدارس في غموض اللفظ أو المعنى والمفهوم وهذا ما أحاول الابتعاد عنه في بحثي هذا مع أن مرادي في هذا البحث القول بمساوقة المعرفة للعلم وكما قدمت في البداية أن المعرفة والعلم ركنين أساسين لابد للإنسان في هذا العالم من الحصول عليهما سوية لما لهما من أثر عظيم في تشكيل وتدعيم الفكر الإنساني والذي سأفرد لهُ الحديث لاحقاً.

المبحث الثاني: مباحث اساسية

أولاً ـ الفكر وأركانهُ:

لقد اهتم الكثير من العلماء بوضع أسس وضوابط لعمليات الفكر والتفكير لكن في الحقيقة ومن وجهة نظري لم يقوموا بتأسيس عملية متكاملة متناغمة فأصحبت الدراسات أبعد ما تكون عن الواقع والصواب ولو أن البعض أسس لهذه العمليات بشكل جيد لكنه سرعان ما غلبت أرائه والبعض اهوائهُ والبعض الأخر الظروف السياسية والإجتماعية والاقتصادية وهذه قضية خطيرة حتى نحن في المراكز العلمية والحوزات الدينية والجامعات الإكاديمية نعاني منها فترى زميلاً لك في الدراسة يخالفك خلافاً شديداً يصل في بعض الأحيان إلى التكفير والحال درسنا واحد ومعلمنا واحد والظروف والإمكانات إلى حد كبير واحدة وعندما نريد حل هذه الأحجية وتحرير محل النزاع كما يقال نجد أنفسنا امام تعريف الفكر الذي ينطلق كل واحد منا منهُ في افكاره وأرائه وكما عرف الفكر بأنه حركة العقل[1] بين المعلوم والمجهول وهذا نتفق عليه... إذن اين الخلاف؟؟!!

أقول: الخلاف واقع في اركان الفكر سواءاً على مستوى الأركان وترتيبها أو ما يدور ضمن تلك الاركان أو المداميك أو اللبنات التي يبنى عليها الفكر سمها ما شئت فلا ضير في الألفاظ فالمهم الوصول إلى الهدف لأنهُ للأسف هذه الحساسية المفرطة في اللفظ جعلتنا نتوه عن الهدف ونحيد عنهُ... المهم سأعرض اركان الفكر وان شاء الله يتضح مرادي أما اركان الفكر فقسمت إلى ثلاثة اركان أو مداميك كل واحد منها يبتني على الآخر.

---

١. الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٢٦٧، ح ٢١٣٠٢.

الأول: الركن المعرفي:

هذا الركن هو اللبنة الأولى في بناء الفكر فإذا أردنا بناء فكر سليم وقويم لابد من إيجاد المنهج المعرفي القويم والمعرفة حق لكل إنسان وحاجة ماسة لهُ فعن كميل بن زياد عن أميرالمؤمنين عليه السلام انهُ قال: ((يا كميل ما من حركةٍ إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة))[١]

هذا من جهة النقل وأما من جهة العقل فترى أنهُ يضعك أمام حتمية الأجابة عن اسئلة ثلاث

١ـ من اين اتيت؟

٢ـ ولماذا اتيت؟

٣ـ وإلى اين سأذهب؟

وهذة الأسئلة إنما تطرح على الإنسان أو الإنسان يطرحها على نفسه بحكم ما وهبهُ الله من قوى عاقلة وقوى تفكيرية فيجد انهُ ملزم بالسعي للحصول على الإجابة الصحيحة عنها.

ومن هنا ينطلق في عمليات البحث من اجل وصوله إلى الهدف في عملية البحث فلابد أولا أن يضع ميزانا لفكره يعرف من خلاله صحة تفكيره من سقمه ثم يواصل بحثه عن المنهج المعرفي الذي يعتمد عليه الإنسان أولاً في التعريف على واقع يرى أمامهُ المناهج المتعددة والتي منها المنهج الحسي الإستقرائي أو التجريبي الذي رواده الحسيون والماديون والمنهج النقلي والذي يقتصر عليه أصحاب الإتجاه الأخباري والمنهج الإشراقي الذي يقتصر عليه أصحاب الإتجاه العرفاني والمنهج

---

١. الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة،ج ١٧، ص ٢٦٧، ح ٢١٣٠٢.

العقلي البرهاني الذي يعتمده الحكماء.

نلاحظ ان هذا الركن أهم اركان الفكر الإنساني لأنه الأساس والمنطلق في صوغ وتشكيل المنظومة الفكرية والعقدية والعملية وبإختلاف المناهج المعرفية تختلف الأدوات والأراء والأفكار والحال أن ادوات المعرفة هي ادوات تكاملية فيما بينها تتناغم كل منها بحسبها وحدودها إلا أن عدم الفهم الصحيح لهذه الأدوات يوقع الإنسان في متاهات وجدالات لاتسمن ولاتغني من جوع وسأبين في الفصل الثاني من خلال بيان الأدوات الواردة في القرآن الكريم مظاهر حكومة الإنسان حسب ما رأيتهُ في تحقيقي وبحثي مبينا بذلك ماهية تلك الأدوات وحدودها.

الثاني: الركن النظري أو ما يعبر عنهُ بالرؤية الكونية:

لابد عند دراستنا للقضايا النظرية الكلية المعبر عنها بالرؤية الكونية، من اختيار المنهج المعرفي الذي يؤمن لي دراسة صحيحة أستطيع من خلالهاأن اصل إلى رؤية كونية سليمة فالمنهج المختار لدى الباحث لهُ عظيم الأثر والأهمية في اختيار الرؤية الكونية التي تسانخهُ وبالتالي الوصول للكشف عن الواقع والقدرة على تمييز الخطأ من الصواب وبالتالي يتم وضع اللبنة الثالثة أو الركن الثالث الذي سيأتي الحديث عنهُ لاحقاً.

وتسمى الرؤية الكونية في الاصطلاح الديني" بأصول الدين أو العقيدة" وهنا يتضح لديناأهمية عملية في كيفية بناء الأسس التي ستشكل هذه الرؤية وبالتالي تكوين وبناء معتقدات الإنسان.

الثالث: الركن العملي أو ما يعبر عنهُ بالأيديولوجية:

ويتعلق هذا الركن بالسلوك الإنساني والذي يبنى على الأيديولوجية والتي تسمى في الاصطلاح الديني "بفروع الدين" وهذا الركن يعمل وفق النظام التشريعي العملي عند الإنسان وبعبارة دقيقة يتعلق بما يجب ان يكون الإنسان والمجتمع عليه من سلوك اخلاقي واجتماعي وسياسي.

فالإنسان الملحد الذي لايقيم أي أهمية دينية عملية وماشابه وينطلق في افعاله من مجموعة أمور تشكلت عندهُ بعيداً عن الدين واحكامه من دون الإنتماء لعالم بدأ منهُ وعالم ينتهي إليه فهو في ذلك يرتب اموره على اساس ألفة الأمور الإجتماعية ليس إلا.

أما الإنسان المؤمن فتراه ينطلق من أيديولوجية منطلقها رضا الله تبارك وتعالى عبر معرفة كافة النظم التشريعية العملية التي انبثقت من رؤيته الكونية السليمة عبر اختياره لمنهج معرفي صحيح ودقيق وبالتالي يتكون السلوك الإنساني الذي أمر الله به ،فالسلوك الراسخ المعتمد على المنهج المعرفي الحق ومن بعده الرؤية الكونية فالأيديولوجية يشكل خيراً للإنسان وسعادة لهُ في الدارين وما عليه سوى مراعات التطبيق والتدقيق في أركان الفكر حتى ينطلق إلى عمليات التفكير من خلال معرفة نوع المشكلة والبحث في المعلومات ودقة المواجهة للوصول إلى القرار السليم والصحيح.

ثانيا ـ دور أدوات المعرفة في بناء الفكر الإنساني:

بعد أن تعرفنا في بحث أركان الفكر على الأركان تتضح لنا أمور عدة من اهمها دور المنهج المعرفي في إعداد وبناء فكر الإنسان واعطائه القدرة على تنظيم النظم

الاساسية في عملية التفكير من استقبال للمعلومة ثم تحليلها ودراستها ثم اعطاء النتيجة السليمة والصحيحة وبقدر ما يملك الإنسان من معارف وعلوم يستطيع بالتالي ان يصل إلى مراتب اعلى وارقى في معارفه اللاحقة فالإنسان كما نعلم يعيش أطواراً مختلفة من التغيير وهذا يعطيه الدافع لتنظيم عملية قطف وجني المعلومات والأفكار بما يملك من قدرة في استخدام ادواته المعرفية الخاصة بالمنهج الذي يتبعه لتحصيل المعرفة.

إن الحسن والدقة في تحصيل المعرفة لابد أن يسبقه حسن ودقة في إختيار واستخدام أدوات المعرفة وبعبارة أخرى نقول على غرار أهل الفقه بأن مقدمة الواجب واجبة وعليه إن وجوب تحصيل المعرفة يسبقهُ وجوب في تحصيل الأدوات المناسبة واستخدامها الاستخدام الأمثل للحصول على المعرفة.

هذه الأدوات تختلف فيما بينها في ماهياتها وفي عمليات كشفها عن الواقع وبالتالي ممالاشك فيه أن الإعتماد على واحدة من هذه الأدوات فيه سيحدد لنا الرؤية الكونية والمنهج والأيديولوجية،أما لو اعتمدناها جميعها في عملية الكشف عن الواقع تعددت لنا الرؤى وبالتالي تعددت الايديولوجيات.

من هنا لابد أن نفهم كل أداة على حدى نتعرف على حدودها وماهيتها وقدرتها في كشف الواقع على ما هو عليه من اجل الوصول إلى قدرات ولياقات فكرية تليق بهذا الإنسان الذي وجد في هذه الدنيا للإمتحان والسعي والكسب بعدما اعطي هذه النعم وهي الادوات من اجل الوصول لفهم كل شيء والتحليق في هذه العوالم واكتساب المعرفة يقول عز من قائل:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] يقول العلامة الطباطبائي في ميزانه.

((إن في هذه الآية إشارة إلى مبادئ العلم الذي انعم به على الإنسان فمبدأ التصور هو الحس والعمدة فيه السمع والبصر وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم ومبدأ ((الفكر وهو الفؤاد)).[2]

إذاً لأدوات المعرفة دور عظيم في بناء الفكر وسنرى في البحوث القادمة من هذه الدراسة أن الاختلاف الحاصل بين المدارس المعرفية أو الاتجاهات المعرفية ((إنما حصل بسبب الإختلاف في عملية انتخاب الأداة المعرفية وبالتالي اختلاف في الأفكار الرؤى والايديولوجيات)).[3]

ثالثاً ـ تقسيمات المعرفة:[4]

لقد قسمت المعرفة تقسيمات عديدة بإعتبارات شتى وسوف اقسمها بنحو يدعم البحث ويفي بالمطلوب فيكون التقسيم على الشكل التالي:

أ ـ المعرفة الحصولية والحضورية:

١ـ المعرفة الحصولية: ((وهي حصول المعلوم لدى العالم بصورته وماهيته المنتزعة منهُ والحاكية عنهُ)).[5] ولا يتحقق هذا النوع من العلم والمعرفة إلا بالكسب

---

١. النحل: ٧٨.

٢. العلامة الطباطبائي،تفسير الميزان، ج ١١ ـ ١٢، ص ٥١٥.

٣. الدكتور الشيخ أيمن المصري، اصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٥١ بتصرف.

٤. الدكتور الشيخ أيمن المصري، اصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٣١ ـ ٣٥ بتصرف.

٥. نفس المصدر السابق.

عن طريق التعليم والتعلم وبذل الجهد والسعة في تحصيله ليقيم سائر العلوم والمعارف البشرية وبالتالي هذه المعرفة الإساسي التي لابد ان يعتني بها الإنسان.

٢ـ المعرفة الحضورية: وهي حصول المعلوم لدى العالم بنفسه وبوجوده الخارجي من قبيل معرفتنا بأنفسنا ووجودها وشؤون النفس الذاتية فلولا العلم الحضوري لما كان لدينا علم حصولي.

وخلاصة الكلام أن هذا التقسيم للمعرفة من وجهة نظر المناطقة وإليك تقسيم المعرفة من وجهة نظر الحكماء.

ب ـ المعرفة النظرية والعملية:

١ـ المعرفة النظرية: وهي معرفة القضايا التي وجودها ليس بإختيارنا والحاكية عما هو كائن كوجود الله تبارك وتعالى أو كروية الأرض أو حادثية العالم والتي يتشكل من مجموعة تلك القضايا المعلوم النظرية الثلاثة وهي الرياضيات والطبيعيات والإلهيات والتي تساعد الإنسان في كشف الواقع وكمال الإنسان.

٢ـ المعرفة العلمية: وهي معرفة القضايا التي وجودها بإختيارنا والحاكية عما يجب أن يكون ما يجب ألا يكون مثل: حس العدل وقبح الظلم ومناط انها توجد بإختيارنا يعني أنها توجد بأفعالنا الإختيارية ولم تكن موجودة من قبل وتحصيل الكمال بفعل الافعال الإختيارية واجب بحكم النقل والعقل وهذا أمر هام عند أهل الأخلاق.

رابعاً ـ المعرفة . أهميتها . ضرورتها . قيمتها.

إن هذه العناوين الثلاثة تتلخص في مدى حاجتنا الماسة للعلم والمعرفة في أي جزئية من حياتنا لما للعلم والمعرفة من منافع أجل من أن تحصى وتحصر فلو أخذنا على سبيل المثال الحوارات الفكرية والثقافية بين بني البشر والتي هي من أبرز مظاهر الحضارة الإنسانية لوجدنا أن هذا الحوار يبتني على امور عديدة منها المعرفة بالشيء الذي يدور الحور حوله وعليه.

إذ أنه لابد على طرفي الحوار أن ينطلقا من رؤية كونية واحدة متفق عليها ومن منهج معرفي واحد وبعبارة أدق لابد ان ينطلقا من ما يسمى نطفة المعرفية او وحدة معرفية واحدة فيما بينهما بحيث تكون الميزان المشترك أو القاسم المشترك الذي يدور عليه الحوار وإلا سنرى ان هذا الحوار العظيم قد تحول إلى جدال عقيم ونزاع مرير ومهاترات لاتسمن ولاتغني من جوع.

ولو انطلقنا من رحاب الإسلام الأصيل وتحديداً من آيات الله البينات لوجدنا ان آياته قد ركزت على أهمية العلم والمعرفة والمتمثلة في تعليم الناس وتثقيفهم وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم واعتبرتها ضرورةً وأساساً وهدفاً أعلى في خلق البشرية الذي هو محور الخلق كله.

على سبيل المثال يحدد الله تبارك وتعالى أدوار النبي ﷺ في هذه الآية المباركة حيث يقول عؤ من قائل:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

---

١. آل عمران، الآية ١٦٤.

فلنتعرف على تلك الأدوار.

ـ الأدوار المعرفية للنبي الأكرم محمد ﷺ:

نستطيع بعد قراءة هذه الآية أن نحلل أدوار النبي ﷺ الى ثلاثة أدوار[١]

١ـ الدور الإعلامي: وهو تلاوة آيات الله البينات حيث قال: يتلو عليهم آياته.

٢ـ الدور الارشادي: وهو التزكية حيث قال: ويزكيهم.

٣ـ الدور التعليمي: وهو التعليم حيث قال: ويعلمهم الكتاب والحكمة.

من هنا نرى أن الله تبارك وتعالى قد أهتم بقضيةالعلم والتعليم والمعرفة حيث أسس لها في برامج رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا دليل على أهميتها ودليل على علو قيمتها وشأنها أن جعلت ضمن الاسس الرئيسية في عملية إرسالهم عليهم السلام.

ونستطيع تأكيد كلامنا بحديث النبي الأعظم ﷺ حيث قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم[٢] وعن الصادق عليه السلام: طلب العلم فريضة في كل الأحوال.[٣]

وعنهُ أيضاً عليه السلام: لو علم الناس ما في العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج.[٤]

بعد هذه الاحاديث نلاحظ أن الله تبارك وتعالى ورسوله وأهل بيته عليهم آلاف التحية والسلام قد حثوا على العلم والمعرفة كفريضة يجب الاتيان بها والسعي وبذل الجهد في طلبها ومما لاريب فيه أن المجتمع الحي والمستقل والعزيز هو المجتمع

---

١. آية الله الشيرازي، تفسير الامثل، ج ٢، ص ٤٩٠ بتصرف.

٢. الشيخ الكليني، الكافي، ج ١، (٢٣ـ ١)ــ العلمة المجلسي،بحار الأنوار، ج ١، ص ١٧٣.

٣. الحر العاملي،وسائل الشيعة،ج١٨، ص ١٤.

٤. الشيخ الكليني،الكافي، ج١،ص٦٧.

الذي يسعى أفرادهُ لتعلم العلوم والمعارف بخلاف المجتمع الجاهل.

إن الأمة الإسلامية إذا تذوقت طعم الإستقلال والعزة والإكتفاء الذاتي لن تترك سبيلاً أو طريقاً يوصلها إلى العلم والثقافة والفنون التي تحتاجها الا سلكته مهما كان الثمن.

ومن هنا ينبغي علينا إيجاد البيئة المناسبة للتعليم وطرح برامج الجهاد العلمي المقدس وأن نؤسس للشباب البرامج ونخطط لهم الخطط ونوجد لهم الآليات والأدوات التي تساعدهم على بناء المجتمع الإسلامي العارف بقوانين الأرض والسماء والحافظ للأحكام الفقهية والمبدع في بناء الحضارة الإلهية الرفيعة.

وختام الكلام أن الله عزوجل فضل المؤمنين المتعلمين على المؤمنين العاديين ليس بدرجة بل بدرجات وكما هو معلوم فإن إكرام وإجلال العلماء هو إجلال للعلم والمعرفة فهم بسبب علمهم ومعرفتهم وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عظيم الدرجات الرفيعة والمنازل العالية قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

إن الله تبارك وتعالى كما ذكرت سابقاً علم انبيائهُ جميعاً من آدمعليه السلام إلى نبينا الأعظم محمدصلى الله عليه وآله حيث قال لهُ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وكفى بذلك أهمية للعلم والمعرفة وكفى بذلك قيمة وضرورة.

خامساً- إمكان المعرفة:

إن إمكانية حصول الإنسان على العلم والمعرفة هو من الأمور المسلمة التي نعاينها بوجداننا فالإنسان بما لديه من قوى وعوامل إدراك يستطيع من خلالها

---

١. المجادلة: الآية ١١.

التعرف على الأمور التي يحتاجها وبمقدوره أن يوسع من معارفه وينقلها إلى الآخرين ولهذا السبب نرى وسعة العلوم والفنون والعلوم الحسية والمخبرية والعقلية والفلسفية ومدى انتشارها وتطورها.

إلا ان البعض انكروا إمكانية المعرفة بدعوات متعددة منها أن الحواس كما هو معلوم لها نسبة معروفة من الخطأ ولاتوجد إمكانية لديها بأن تعطينا نتائج دقيقة في حال اعتمادنا عليها وكما يقول الشهيد مطهري من أنهم توصلوا لنتيجة مفادها ((انهُ لايمكن الثقة بالمعطيات الحسية)).[١]

((وكذلك الحال بالنسبة للعقل عندهُ نسبة من الخطأ ويستدلون على صحة دعواهم وجود الإختلاف بين العلماء والباحثين والفلاسفة حول المسائل العلمية والبحثية وكل واحد منهم لديه دلائل واثباتات على صدق مدعاه ولهذا السبب نلاحظ اختلاف آرائهم ووجهة نظرهم مع بعضهم البعض لدرجة نلاحظ فيها ان هناك اختلافاً وتبايناً كبيراً بين آرائهم)).[٢]

ولو أردنا تقسيم هؤلاء المفكرين من حيث القول بإمكانية المعرفة نقسمهم إلى إتجاهات أربعة.[٣]

الإتجاه الأول: ونسبتهُ للسفسطائين القدماء والمثاليين المحدثين والذين أنكروا الواقع الخارجي وحقائق الأشياء يمكن الرد عليهم بالقول: إن الإيمان أو الإذعان بوجود الواقع الخارجي قضية بديهية لا يختلف عليها إثنان ولو في حدود انا المدركة.

---

١. الشهيدمرتضى مطهري، روش رئاليسم، ج ٦، ص ١٧٨ ـ ٢٠٠، بتصرف.
٢. الشهيد مرتضى المطهري، مجموعة المؤلفات، ج ١٣، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٨، بتصرف.
٣. لجنة التأليفات في أكاديمية الحكمة العقلية، مناهج التفكير، ص ٢٥ ـ ٣٦، بتصرف.

الإتجاه الثاني: ونسبتهُ للشكاكين الذين شككوا في إمكانية وقدرة أدوات المعرفة في عملية كشفها عن الواقع أو إدراكه والتعرف عليه رغم إيمانهم وتسليمهم بوجود الواقع الخارجي وقد عرضت في اول حديثي هذا ما ذكرهُ الشهيد مطهري حول عدم ثقتهم بالحس والعقل وأنهما لايوصلان للمعرفة وعليه الرد عليهم بقولنا: بلزوم الرجوع إلى مبتنيات مسبقة مقطوعة الصواب في تمييز الخطأ فقبل الحكم بالخطأ والصواب لابد من معرفة الصواب ثم نحكم على القضية إذا قلنا إن الاربعة فرد مثلاً كيف نحكم بخطئها قبل أن نعلم أن الأربعة زوج قضية صائبة... هذا من جهة.

ومن جهة ثانية هل هذا الشك الذي يدعونهُ معلوم لديهم أم ليس بمعلوم؟

فهم إما ان يدعوا بأنهم عالمون بهذا الشك فهذا إقرارٌ منهم بوجود علم وإما أن يدعوا أن الشك قائم حتى في الشك نفسه وبالتالي هذا رأي لاجزم فيه ولايستحق منا النقاش مادام شكهم بحد ذاته شكاً.

وأما الرد عليهم في خطأ الحواس فنقول إن الخطأ في الحواس مردهُ إلى عدم سلامتها أو وجود تغيير في الواقع الموضوعي للشيء المحسوس وليس التغيير والتبدل في الإدراك الحسي.

والحس في واقعه أمين في جهة نقله لصورة الحقائق والوقائع وهناك آيات تؤكد هذا المعنى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[1].

---

١. الاسراء: الآية ٣٦.

وأما الرد على خطأ العقل فنقول إن العقل معصوم في براهينه وإنما الخلل قد يكون واقع في مادة القياس أو صورته وقد يكون أهل العقل لم يراعوا موازين علومهم ومن لم يحسن استعماله لتلك الموازين لم يكتسب ملكة العصمة عن الخطأ وملكة الاستخدام والإستعمال الصحيح.

الإتجاه الثالث: ونسبتهُ لمفكري الغرب حيث يقولون بتغير العلم وبالتالي هم يشككون في قيمته المعرفية ولازم هذا القول الجهل والحال انهم قد وقعوا في الخطأ بين الادراكين العقلي الثابت والحسي المتغير وبين العلم البرهاني القطعي وغير البرهاني الظني وبين العلوم الحقيقية والإعتبارية... وبيان الرد عليهم يحتاج إلى مطولات إلا انهُ يمكن القول إن العلم يمكن أن يزداد زيادة كمية على نحو الإجمال أما التغيير فكما نعلم هو زوال شيء وحلول شيء آخر أو بمعنى آخر التغيير هو انقلاب الشيء إلى نقيضهُ وبطلانه... وهذا مستحيل في العلم كما هو ثابت في محله.

الإتجاه الرابع: وينسب للكثيرين من اهل زماننا أو ممن سبقوا من أهل العلم حيث يقولون بنسبية العلم وعدم إطلاقه حيث يزعمون ان الحق المطلق لايملكهُ أحد فيعتمدون تكثر الحقيقة وتعددها وهذا هوعين السفسطة ويعممون كلامهم بالنسبية حتى على العقائد والفكر لضرب الموازين العقائدية والفكرية ويقولون بخلاف ذلك في العلوم الرياضية والتجربية بدعوى أنها علوم ذات قواعد صناعية محكمة وأول رد عليهم هو ان قولهم: (إن كل علم نسبي). هل هذه القضية مطلقة أم نسبية؟

فإن كانت مطلقة فهذا اعتراف بعلم مطلق لايخضع لرأي شخص كما ادعوا فكيف انتقضت الموجبة الكلية... (كل علم نسبي) بسالبة جزئية فصار من قبيل ما

يلزم من وجوده عدمه فلقد أرادوا إثبات نسبية كل القضايا فتورطوا بإثبات إطلاق قضية لم تسلم من النقض.

وإن قالوا إنها نسبية فتفقد صلاحيتها كقانون كلي مطلق لسائر القضايا والأحكام وبالتالي حكموا على انفسهم بأنفسهم لما نفوا الإدراك المطلق والقواعد الكلية فلا يجوز لهم إصدار حكم كلي بنسبية جميع القضايا لأنه يبقى امراً نسبياً خاصاً بهم لاينبغي الدفاع عنهُ أو فرضهُ على الآخرين.

وخلاصة الكلام: إن إمكانية تحصيل المعرفة أمر سهلٌ وميسرللجميع ولو ابحرنا في مسافات قصيرة جداً في بعض آيات الله البينات لرأينا كيف ان كتاب الله المجيد يدعو الانسان للتعرف على ظواهر هذا الوجود بل يدعوهُ للتأمل والتفكر في ملكوت السماوات والارض بل نستطيع القول أنهُ ذهب إلى ابعد من ذلك فنلاحظ في آياته إنهُ ينهى عن عدم التفكر ويشجب بشدة اولئك الداعين للابتعاد عن التفكر والذين يشككون في العلوم.

إن القرآن الكريم يشوق الناس لكسب المعرفة وسوف اذكر من أيات الله البينات مايؤكد هذا الكلام.

قال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]

وقال أيضاً عز من قائل: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[2] وغيرها من الآيات... إن المراد من النظر في هذه الآيات هو التأمل والتفكر المعروف عندنا

---

١. يونس: الآية ١٠١.

٢. الاعراف: الاية ١٨٥..

وباستخدام نفس القوة المفكرة في الانسان وهي العقل ومايساعدها من آلات الحس الظاهر والباطن إذ ان هذا هو المعروف من التفكر ولم يذكر القرآن الكريم أي طريقة أخرى يجب علينا أن نتفكر من خلالها بل ترك هذا الامر الينا... إن القرآن الكريم يؤكد انه لا محدودية عند الإنسان في الحصول على المعرفة فمثلاً قصة نبي الله آدم عليه السلام هذه القصة المليئة بالأسرار ورموز الحكمة والتي منها إمكانية إحاطة آدم بكافة الحقائق والظواهر والأسماء ورموز العلوم قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

ولو دققنا النظر ملياً في كلمة الأسماء التي عرفت بأل لتفيد العموم وقد تبعتها كلمة كل لتؤكد العموم والشمول في المعرفة ومنظور التعليم هنا بهذا الإطلاق يفيد مطلق أسماء العلوم وحقائق الوجود والقدرة الاستيعابية لدى الإنسان للإحاطة بأسرار الكون وعوالم الوجود وتلك الظواهر العلمية سماوية كانت أو أرضية إضافة لعلوم الملك والملكوت.... .

إن القرآن الكريم يعرف المعرفة عند الإنسان بالامحدودة واللامتناهية فنعم الرب الوهاب.

سادساً: نوافذ المعرفة:

لقد منح الله تبارك وتعالى أعظم مخلوقاته نوافذ معرفية يستطيع من خلالها الوصول إلى المعلومة المطلوبة بحيث يكون بمقدور هذا المخلوق المكرم تلقي المعلوم عبر النافذة التي يعتمدها في منهجه المعرفي والذي يعتمد في بناء معلوماته ومعارفه على الأداة الخاصة بذلك المنهج ويمكن تقسيم تلك المراتب المعرفية أو النوافذ المعرفية

---

١. البقرة: الآية ٣١.

إلى أربعة أقسام:

١ـ النافذة المعرفية الحسية:

حيث يدرك الإنسان من خلال هذه النافذة عبر الرواضع الحسية المعروفة الصور المحسوسة التي انتزعت من الموجودات المادية الخارجية في هذا العالم ((ولهذا فإن بقاء الاحساس متوقف على بقاء الارتباط الوضعي لهذه الجوارح مع المعلوم الخارجي، فإذا تغير الوضع تغيرت الصورة)).[1]

٢ـ النافذة المعرفية الخيالية:

إن تحقق المعرفة من هذه النافذة يأتي من إمكانية استدعاء تلك الصور التي أخذت من نافذة الحس التي أدركت في مرتبة سابقة من دون حضور المادة بمعنى انها مجردة وبالتالي يمكن لنا من هنا أن نعرف الفرق بين الصورتين الحسية المادية والخيالية المجردة حيث تحتفظ هذه النافدة بتلك الصور حتى بعد غياب ذلك المعلوم الخارجي التي بإمكانها تجميع تلك الصور أو القدرة على تبديل مواصفاتها كما نرى عند المهندسين الذين يتخيلون ويتصورون مخططات معينة يقلبون ويألفون فيما بينها للوصول لمطلوبهم.

٣ـ النافذة المعرفية الوهمية:

إن المعرفة الوهمية تتم عند إدراك المعاني العقلية مضافة إلى الصور الجزئية لأننا كما نعلم أن العقل يدرك ويفهم المفاهيم الكلية المجردة وأما الوهم فيدرك المفاهيم المضافة للصور الجزئية وحتى يتضح المطلوب نضرب مثلاً في حب الطفل

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٣٢ ـ ٣٣.

لأمه فنرى أن هذا المفهوم "الحب" معنى كلي أما إذا تعلق بصورة جزئية تعلق بما يسمى بقوة الوهم وهذه الصور تدرك بواسطة الخيال كما تحدثنا في النافذة السابقة.

٤ـ النافذة المعرفية العقلية:

بعد ان تحدثنا عن النوافذ الثلاثة السابقة سوف يتضح معنى المعرفة العقلية فنقول: العقل إضافة للمدراكات التي حصلت بواسطة الحواس أو الخيال فهو يدرك المعاني الكلية كما قلت في النافذة المعرفية الوهمية بمعنى ((انهّ يدرك الأشياء المجردة عن الجسيمة وعوارضها المادية))[1] فنظر العقل إلى صورة محددة بعينها بل أعم من ذلك الوصف والمعنى وبالتالي هذه النافذة المعرفية هي قابلة وليست فاعلة.

وإن شاء الله نفصل أكثر في الفصل الثاني عندما نستعرض الأدوات المعرفية من خلال كتاب الله المجيد.

سابعاً: موانع المعرفة

إن من أهم الأبحاث في علم نظرية المعرفة هو الحديث عن موانع المعرفة الذي ومن خلال طرح تلك الموانع ستتضح طرق إزالتها وستتضح شرائط المعرفة لكل ذي لب على نحو الضرورة...

لقد كتبت كتب ومقالات متنوعة طرحت هذه المسألة لكن لم أجد كتباً طرحتها بموضوعية ومنطقية وأوجدت سلة الحلول لها قبل القرآن الكريم لذا سيكون إعتمادي في هذه النقطة على الآيات المباركة وسأطرح أهم الموانع مستدلاً عليها من آيات الله البينات وباختصار شديد.

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٣٣.

١ـ التعصب والجدال:

إن هذين المانعين من أعظم سدود المعرفة عبر التاريخ وهما اللذان منعا الناس من الإيمان ببراهين أنبياء الله ورسله الواضحة والقاطعة قال تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١]

وكما يقول صاحب الأمثل إن مثل هؤلاء هم في الواقع غمسوا قلوبهم وعقولهم في التعصب الجاهلي الأعمى وفي المصالح المادية والأهواء بحيث أصبحت وكأنها واقعة تحت الأستار والحواجز.[٢]

إن التعصب والجدال الأعمى والمكابرة أمام أمواج المعرفة ما هو إلا ضرب من الجنون الذي يهدم الإنسان والأمة على حد سواء لذا على النخب العلمية بكل أطيافها وتوجهاتها إيجاد البرامج التوعوية المطلوبة والتي لا بد أن تكون من صلب واقعنا لأن المعركة الحالية والمعارك القادمة هي معارك فكرية بامتياز.

٢ـ عدم استخدام العقل والحواس:

إن إهمال دور العقل والحواس يفقد هذه المنظومة الأدواتية المعرفية فاعليتها وبريقها وبالتالي نرى أن هذا الانسان يفقد تلك اللياقات والاستعدادات التي وهبهُ الله تبارك وتعالى إياها من أجل الوصول لرضوانه عزوجل فيقول عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ

---

١. الأنعام: الآية ٢٥.

٢. آية الله الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٤٠، ص ٤٢.

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١]

فهذه الآية فيها إشارات دقيقة لجهة تعطيل دور العقل فكلمة القلوب المذكورة في كلمات الآية الشريفة المراد منها كما يقول صاحب الأمثل: ((الفكر والروح وقوة العقل)).[٢]

فالإنسان عندما يعطل هذه القوة فالنتيجة ضرب للإنسان وهدم أركانه فالعقل يختلف عن غيره من الأدوات المعرفية وسيأتي بيانهُ بالتفصيل في الفصل الثاني لأن للعقل دوراً رئاسياً ورئيسياً في عملية نيل واكتساب المعرفة.

وفي الآية السابقة إشارات دقيقة لحاسة العين وحاسة الأذن فهي تشير إلى نكتة هامة جداً وهي حالة فقدان الشعور والاحاسيس نتيجة اللامبالاة والإفراط في الدنيا والماديات فيكونوا خير مصداق لقول الله "بل هم أضل من الأنعام" لعدم إلتفاتهم وحفاظهم على نعمة الله وهناك تشبيه دقيق وبليغ أيضاً في حق أولئك تجسد في قول اميرالمؤمنين عليه السلام: اولئك كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها.[٣]

٣ـ اتباع الظن:

في الواقع هذا مانع لهُ سيطرة واسعة جداً في مجتمعنا اعم من الاسلامي أو الليبرالي وما شابه وخاصة بعض الفرق والمذاهب الاسلامية التي تبني كل امورها

---

١. الأعراف: الآية ١٧٩.

٢. آية الله الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٤، ص ٥٧٧.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٤٥، ص.

على امور ظنية لاتستطيع بأي حال من الأحوال الكشف عن الواقع وبالتالي تحصيل المعرفة.

فيقيمون كل استدلالتهم على حد زعمهم أنها استدلالات والحال ماهي سوى امور ظنية ساقطة مبنية على خلفيات ما أنزل الله بها من سلطان فيحسبون أنفسهم أنهم عارفون وعالمون والحال أنهم في ظلمات الجهل غارقون.

يقول عز من قائل: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[١]

يقول صاحب الميزان في شرح هذه الآية: ((أن اتباع الظن والقول بالخرص والتخمين سببان بالطبع للضلال في الأمور التي لايسوغ الاعتماد فيها إلا على العلم واليقين لأن﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾)).[٢]

٤- رواسب الجاهلية والتقليد الأعمى:

قرأت في تفسير الميزان عبارة تلخص المعنيين معاً وقد اختزلت كثيراً من الكلام يقول عليه الرحمة: ((إن رجوع الجاهل إلى جاهل آخر مثله مذموم في سنة العقلاء))[٣]؛ لأن كثيراً من سواد شعوبنا إن لم نقل الأعظم كانوا يرجعون في حل أمورهم واكتساب معارفهم إلى آبائهم فيقلدونهم كتقليد الجاهل للعالم والحال أن كلا الطرفين جهال ولايعلمون من الحق شيئاً وكما نعلم ان تقليد العالم لمثله لايجوزفمن الطبيعي أن يكون تقليد الجاهل للجاهل غيرجائز.

---

١. الأنعام: الآية ١١٦.

٢. يونس: الاية ٣٦.

٣. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٥ و٦، ص ٤٢٥.

فتأمل جاهل يتوجه إلى جاهل مثله إن هذا إلا تقليد أعمى ولماذا يصر على هذا؟؟؟

إن الآية الشريفة تختصر الكلام فكلام الله أعظم وأبلغ الكلام يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.[1]

إن فطرة الإنسان لاتبيح له إلا الرجوع إلى ذي العلم والمعرفة والبصيرة وإلا يكون فعله مذموماً فلابد أن يكون دأبنا هو تقليد العالم العارف بحق وعلينا الاعتبار فالأمة الجاهلة لا تورث إلا جهلاً وضلالاً والأمة العالمة العاملة لا تورث إلا قوة وعزا.

وختاماً أقول: إن الموانع كثيرة وما جئت على ذكره هو غيض من فيض فلدينا موانع لاتقل شأنا عن التي ذكرتها من قبيل الوهم والهوى والتعلق بالدنيا وغيرها من أمراض النفس والأمراض القلبية والمعنوية إضافة للإعلام المسموم الذي غزانا وبقوة وهو من اخطر الاسلحة التي وجهت إلينا من قبل الملحدين فقلب الحقائق إلى خرافات وأضاليل لايحتاج إلا لدقائق معدودة ولأمر واحد من أي صهيوني حتى تستباح العقول والقلوب والأفكار وتعمي عين الحقيقة ولاتشم ولاتذُوق إلا السموم التي خدعتنا ببريقها المزيف.

ومن هنا تنبثق الحاجة الملحة إلى إدارة تهندس خرائط شبابنا الذهنية والفكرية لكي يكونوا جيل النخبة لان حمل المعرفة لابد لهُ من رسالين محمديين.

---

١. المائدة: الآية ١٠٤.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



أدوات المعرفة في القرآن الكريم

وفيه:

١ـ المبحث الأول: الأداة الحسية (الحواس).

٢ـ المبحث الثاني: الأداة العقلية (العقل).

٣ـ المبحث الثالث: الأداة القلبية (القلب).

٤ـ المبحث الرابع: اداة الوحي.





مقدمة:

إن أهمية أدوات المعرفة منبعثة من أهمية المعرفة وتحصيلها والتي من خلال تلك الأدوات يستطيع الإنسان معرفة الحقائق والتسلط عليها ولو أردنا تعريف أدوات المعرفة في القرآن الكريم لقلنا إن أدوات المعرفة هي القادرة على إدخال جميع المدخلات للذهن البشري من الصور الخارجية للوصول للرؤية الكونية الحقة وبدورها لبلورة الايديولوجية العلمية التي تسير بالانسان إلى ما يصبو إليه في ظل رضا الله تبارك وتعالى في الدارين لابد العلاقة بين الدين والمعرفة هي شعبة من شعب العلاقة بين العلم والمعلوم فالعلوم بر كتها متشكلة من رحم المعرفة الدينية الإلهية التي أخذنا بها عن طريق حجية القطع بناءً على المذهب العقلي العقلائي في تحصيل المعرفة لانهُ وكما يقول أهل العلم أن حجية العقل القطعي ذاتية للقاطع لا يملك سلبها عنهُ وما يكون ذاتياً لا يكون قابلاً للجهل ولهذا لا يكون قابلاً للسلب وبالتالي لإثبات حجية القطع لابد من إثبات حجية الأدوات المعرفية فكل أداة مدخلة للصور والمعارف إلى الذهن البشري لاشك في حجية دورها ولا شك في أهمية قيمتها الادائية أولاً وفي تشكيل المعرفة ثانياً.

ومن هنا سوف ننطلق في البحث عن الأدوات المعرفية من الدستور الأعلى والعلم الأسمى من القرآن الكريم الذي فيه تبيان لكل شيء لنتعرف على الأدوات وعلى مدى قدرتها في الكشف عن الواقع مستعرضاً في الضمن العلاقة فيما بين هذه الأدوات التي تشكل الحكومة المعرفية عند الانسان ولنرى من يستحق الرئاسة والزعامة من خلال خلاصة في نهاية هذا الفصل أعرض فيهاأهم النتائج التي وصلت إليها .

المبحث الأول: الأداة الحسية

أولاً ـ الحس لغة واصطلاحاً:

أ ـ الحس لغة:

١ ـ الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) يقول: الحس مصدر حسست القوم أحسهم حساً إذا قتلتهم وحسست الدابة أحسها حساً والحس من أحسست بالشيء والحس: وجمع يأخذ النفساء بعد الولادة ويضيف الجوهري... الحواس: المشاعر الخمسة: السمع والبصر والشم والذوق واللمس[١] والحساس شديد الحس والإدراك.[٢]

٢ ـ عند ابن منظور (ت ٧١١هـ): يقول والحس: بكسر الحاء: من أحسست بالشيء، حس بالشيء يحس حساً وحِساً وحسيساً وأحس وأحسهُ: شعر به. ويقال: حسست بالشيء إذا علمتهُ وعرفته[٣].

إذا الحس في اللغة: هو ما تكون من الحواس الخمسة والموصلة للعلم والمعرفة.

ب ـ الحس اصطلاحاً:

١ ـ عرف يعقوب من اسحاق الكندي الحس: بأنه إنيةُ إدراك النفي صور ذوات الطين في طينتها بأحد سبل القوة الحسية ويقال: قوة للنفس مدركة للمحسوسات[٤].

---

١. الجواهري، الصحاح، ج ٣، ص ٩١٧.

٢. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ج ٤، ص ٢٣٧.

٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٤٨ ـ ٤٩.

٤. يعقوب بن اسحاق الكندي، الرسائل الفلسفية، ج ١٣، ص ١٦٧.

٢ـــ ويقـول أبوحيـان التوحيـدي هـو الـذي يتـصفح ويـستقوي بمـؤازرة العقـل ومظاهرته وتحصيله.[١]

وبالتالي يمكن القول أن الحسيات هي معابر وطرق لنقل المعلومات إلى العقل أو النفس من أجل البدء بعمليات الإدراك والمعرفة.

والحس على قسمين: حس ظاهري وحس باطني "الوجدان"، وكلامنا فـي هـذا المبحث مختص بالحس الظاهري الذي نعبر عنهُ بالأداة الحسية والمتمثلة بإتحاد أو مجموعة الرواضع الحسية الخمسة، ويمكننا القول بأن الحس الظاهري «هـو جهاز يحتوي على عناصر للكشف عن الواقع الخارجي المادي وكل عنصر يتعرف على ما يسانخهُ في الواقع»[٢] وبالتالي الوصول إلى ذلك المدرك على النحو المطلوب حيث إن ابن سينا لم يفرق بين المدركات سواءاً أكان عقليـة أم حسية فقال عن الإدراك بـشكل عـام «إدراك الـشيء هـو ان تكـون حقيقتـهُ ممثلـة عنـد المـدرك يشاهدها بما يُدرك».[٣]

وعند ذلك يمكننا القول إن الصور الحسية أو المحسوسات بشكل عام تتوارد صورها وتنتقل لتصل إلى آلة الحس في الجهاز الحسي فتنطبع فيها وبالتالي تـدركها القوى الحسية المناسبة فلو كان الإدراك عقلياً فيكون بإمتثال صور المعقولات في العقل.[٤] «وإذا كان الإدراك حسياً فهو امتثال صور المحسوسات في الخواص».

---

١. أبوحيان التوحيدي، المقابسات،ج ٩٠، ص ٢٠٥.

٢. الدكتور الشيخ ايمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٥٣.

٣. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج ١، ص ١٣٠.

٤. ابن سينا، الشفاء، ج ١، ص ٢٥٦ ـ ٣٦١.

«الإحساس هو قبول صور الشيء المحسوس مجرد عن مادته».[١]

وبالتالي نكون أمام ضرورة معرفة أنواع المحسوسات حتى يتضح لنا الوضع العملي لعملية عمل الحواس فنجد أننا أمام أربعة انواع للمحسوسات كما يقسمها العديد من علماء الطب والنفس وادقهم تقسيماً ابن سينا حيث يبين منهجية دقيقة لأنواع المحسوسات فنجد أن الأقسام هي التالية:

١ـ محسوس مدرك بالذات: وهو الذي تحدث كيفية في الآلة الحاسة مشابهة لما فيه فيحس[٢] بمعنى أن الحاسة تحس بالشيء المتخصصة به أو الذي تريدهُ بحسب التحليل الدفاعي وحركة الأمر والإرادة الموجهة لها فيكون محسوسها المراد أولاً وبالذات وأن أحست بشيء مرافق له إلا أن هدفها هو الوصول لجهة الهدف المحدد.

٢ـ محسوس مدرك بالعرض: وأما المحسوس المدرك بالعرض فهو معنى يدركهُ الحس لوجوده غرضاً في محسوس المدرك أولاً وبالذات وهذا ما يطلع عليه إدراك حسي مكتسب إكتساباً إضافياً.

وحتى يتضح كلا القسمين نقرب بمثال فنقول: أنهُ او أمرنا بالنظر إلى زيد فإن زيداً هو المحسوس أولاً وبالذات وهو المطلوب والآن مع إحساسنا بزيد لاحظنا أنهُ حنطي اللون فتكون هذه الملاحظة عرضية لأنها لم تكن هدفنا وغايتنا بل حصلت عندنا باكتساب إضافي ولم تكن في الأمر الموجه فيكون زيد محسوس مدرك اولاً وبالذات ولونه محسوس مدرك ثانياً وبالعرض.

---

١. ابن سينا، الشفاء، ج ١، ص ٢٩٧.

٢. ابن سينا، التعليقات على حواشي كتاب النفس لارسطوطاليس، رقم ٦ م، ص ١٦١.

ويمكن لنا إحداث أقسام اخرى بلحاظات اخرى فيمكننا القول أن المحسوسات على قسمين آخرين هما:

١ـ محسوسات مدركة مشتركة: وهي التي تحس بالحاسة الخاصة بها حسب طبيعة المحسوس والتي لا يمكن أن تحس بحاسة ثانية مثل اللون للبصر والصوت للمسمع والرائحة للشم والطعم للذوق والحرارة والبرودة للمس.

٢ـ محسوسات مشتركة: وهي التي تحسن لجميع الحواس أو أكثرها من قبيل المقادير والحركة والأعداد والأشكال وغيرها.

ـ عناصر الاحساس الظاهري:

بعد أن تعرفنا على الحس وأقسامه من المناسب أن نتعرف على عناصر الإحساس الظاهري والمكونة من:

١ـ المحسوس الخارجي: حيث يمكن أن يكون منبهاً أو مؤثراً نحسه بواسطة الحاسة الخاصة به.

٢ـ الإنفعال الحسي: وهو عملية الانفعال الحاصل بين المحسوس والحاسة والتي من خلالها يتم التعرف وبناء المعلومة من خلال المحسوس الخارجي بإختلاف كيفياته المحسوسة في الأشياء.

٣ـ الوسط: وهو الوسط الذي تتم فيه عملية الإحساس والتواصل والتفاعل بين الحاسة ومحسوسها فمثلاً الهواء والماء وسط لكل من حاسة البصر والسمع والشم من اجل نقل المعلومة واختلاف في اللحم هل هو واسطة في حاسة اللمس والحال أن الجلد هو وسط لحاسة اللمس والحاسة الذوق أيضاً.

وأضاف البعض الواجدن إلى تلك العناصر الثلاثة.

ثانياً ـ الحس في القرآن الكريم:

لقد أتى القرآن الكريم على ذكر العديد من آيات التي تحدثت عن الحواس عند الإنسان والتي سوف اذكر البعض منها بما يناسب المقام ثم أنتقل للإجابة على تلك التساؤلات التي طرحتها ولنقف أخيراً على بعض النتائج الهامة وإليكم الآيات:

يقول عز من قائل:

١ـ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[١]

٢ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾.[٢]

٣ـ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[٣]

٤ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[٤]

٥ـ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.[٥]

---

١. النحل: الآية ٧٨.

٢. المؤمنون: الآية ٧٨.

٣. الإسراء: الآية ٣٦.

٤. النساء: الآية ٥٦.

٥. الغاشية: الآية ١٧ ـ ٢٠.

٦ـ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.[١]

٧ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.[٢]

٨ ـ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[٣]

٩ـ ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.[٤]

١٠ـ ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.[٥]

١١ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾.[٦]

والآن بعد عرض ما تيسير من آيات الله البينات سوف تدخل بشكل اكبر في بيان مقاصدنا:

١ـ الحس أداة معرفية:

إن حدود الحس تكمن في نقل تلك الصور الخارجية للنفس عن طريق الآلات المعدة لقبول تلك الصور وإيصالها إلى العقل أو النفس مع المناسبة لكل آلة من تلك الآلات بما يقابلها من الجهة التي تفسر تلك الصور والإدراكات ومن هنا يتضح كلام التوحيدي في كتابه بأن عملية الحس تجري بالتصفح ثم النقل إلى أماكن

---

١. الطارق: الآية ٥.

٢. السجده: الآية ٢٧.

٣. هود: الآية ٢٤.

٤. الحاقة: الآية ١٢.

٥. المائدة: الآية ٨٣

٦. آل عمران: الآية ١٩٣.

التحليل والإدراك لنحصل على ذلك المعقول من هنا يتضح لدينا أن عملية الحواس الظاهرية تؤدي لحصول المعرفة الحسية.

من هنا أريد أن أضيء على نقطة هامة هي أنه هناك أقوال عديدة في حجية الحس كأداة معرفية في الواقع بخلاف البعض الذي يقول بما أن الحس يخطأ فهو ليس بحجة والبعض يقول لا يخطأ فهو حجة والحقيقة أن الحس لا يخطأ ونحن نتكلم عن ذلك الحس السليم في رواضعه وآلاته أما لو كان الحس مفقوداً أو فيه ضعف معين أو فقد بعضاً من خصائصه فمن المؤكد أن حجم المدركات أو المعلومات سيكون أقل بلا شك ولا ريب ،وهناك عبارة جملية ينقلها الشهيد مطهري عن ارسطو في مؤلفاته «من فقد حساً فقد علماً».[1]

«إن الحس ناقل أمين»[2] فهو يقوم بنقل كافة العوارض المادية والمشاهدات الخارجية دون أي تغيير وللحس شراكة واضحة في تصور تلك المعقولات الأولية الماهوية كالإنسان والحجر وغيرها ويقف عند هذا الحد فلا يتدخل بعدها في العمليات البرهانية أو الاستدلالية بعد نقل تلك الصورة والمشاهدات بينما الماديون يقولون أنهُ لا يوجد عندنا طريق لتحصيل المعرفة إلا عن طريق الحس وحدهُ أو كأولئك الذين لا يقيمون وزناً لهُ كأهل السفسطة .والأمر واضح انني اقول إن الحس هو أداة معرفية بحدود إمكاناته وقدرة آلاته وإلا بقية عمليات المعرفة لا علاقة لهُ بها لماذا أقول ذلك؟!

لأن البعض يقول إن التجربة أثبتت أن الحس يخطئ فلو أخذت كأس ماء ووضعت

---

١. الشهيدمرتضى مطهري، مجموعة المؤلفات للشهيد مطهري، ج ١٣، ص ٣٥٦.

٢. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٥٤.

فيه قلماً ترى أن هذا القلم مكسور لكنه في الواقع ونفس الأمر لو أخرجته هو غير ذلك؟ فكيف تفسر أن الحس لا يخطئ وقد أوصل لك صورة خاطئة؟

أقول جواباً على هذه المغالطة أو هذا الإشتباه الذي يدلل على عدم وضوح الرؤية عند المستشكل الذي غلبه جهله. إن الحس نقل ما رآه لما نظر للقلم السليم كيف كسر في الماء، وهذا لهُ تفسير فيزيائي درسناه في أكاديمية الهندسة وخلاصته أنك لما وضعت القلم في الماء وبوجود كمية من الضوء المسلط بشكل مباشر أو غير مباشر على ذرات الماء الموجودة في الكأس فإن تلك الذرات ستعكس لنا صورة إنكساره إذا فأقول إنكسار القلم بسبب الضوء والحس هو ناقل ليس إلا وقد أدى ما هو مطلوب منهُ وأما تحليل تلك الصورة فهي من وظيفة العقل الذي يقول بناء على إن الإنكسار إنما حصل بسبب الضوء.

الخلاصة: أن الحس من أدوات المعرفة وسوف يتضح الأمر جلياً في مناقشة الآيات البينات والتي تحدثت عن الآلات المعدة وقد عرضت نماذج مختلفة لتلك الآيات وربما يوفقني الله تبارك وتعالى لعرض نماذج أخرى في طيات فقرات هذا البحث.

لقد اعتبر القرآن الكريم أن الأذن والعين أداتين من أهم أدوات المعرفة الحسية. وقد قدم الله تبارك وتعالى السمع على البصر في الآيات الكريمة وذلك لأسباب وخصائص اثبتها العلم.

منها:

١ـ إن حاسة السمع لايمكنها أن تاخذ وقفة أو استراحة حسب بعض النظريات الطبية الحديثة، حتى في النوم.

أما حاسة البصر فتتوقف في استراحة ونوم وما شابه...

٢ـ إن حاسة السمع تبدأ بالعمل مباشرة بعد الولادة بخلاف حاسة النظر فتبدأ بعد إربعين يوماً من ولادة الطفل.[١]

٣ـ إن عمل الأذن يكون بشكل متناسق في تلقيها للحركات السمعية كما يقول الأطباء أما العين فلا حيث إن الصورة المنعكسة على شبكية العين اليمنى تختلف عن الصورة المنعكسة على العين اليسرى وهذا ثابت في محله[٢].

٤ـ أننا نلاحظ أن القرآن الكريم قد ربط في بعض الآيات بين السمع والعقل حيث جعل السمع بمنزلة الفهم والتدبر والتعقل كما في قوله:

ـ ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾.[٣]

ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[٤]

ـ ﴿نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.[٥]

فالآية من سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ تتكلم عن اولئك الذين ناداهم النبي الأعظم ﷺ بنداء الإيمان والعلم والمعرفة فلبوا نداء النبي ﷺ وتشير الآية المباركة إلى أولئك المفلحين الذين سمعوا دعوة الله ورسوله لأخذ الحكم والحق وإتباع الرشاد لما عرفوا من حلال الله

---

١. د. عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس،ص ١.

٢. د.أحمد عطوان،تشريح وظائف الأنف والأذن والحنجرة،ج٢،ص٢٣٣.

٣. آل عمران: الآية ١٩٣.

٤. النور: الآية ٥١.

٥. الاعراف: الآية ١٠٠.

وحرامه وكما تعلمون إن معرفة الحق والعلم به فرع معرفة الحلال والحرام لذا كان أميرالمؤمنين عليه السلام أعرف الناس وأعلمهم بذلك لأنهُ لم يطبع الله على قلبه مثل أولئك الذين عاندوا أو عصوا فقال عنهم ونطبع على قلبوهم فهم لايسمعون يعني سماع تفهم وإعتباروبعبارة أجلى يعني لا يملكون قوة الإصغاء لنور المعرفة ونور الهداية.

هذا جانب بسيط من تلك الأداة الحسية وهناك أداة حسية أخرى لا تقل أهمية وهي البصر فالعملية المعرفية المبنية على التشاركية والتفاعل بين الرواضع الحسية لا شك أن لها فاعلية أكبر في بناء المعلومة أو تحصيلها ونحن عندما نلحظ هذا الإقتران بين هاتين الحاستين دون بقية الحواس في أغلب الآيات لاعتبارات عديدة منها ان الله تبارك وتعالى من صفاته السميع والبصير وقد قلد هذا الإنسان الذي يعتبر مظهراً من مظاهر قدرته وعظمته هذه الصفات وهذه الإمكانات فبالبصر يرى الإنسان الأنبياء والأولياء وعجائب الخالق فيزداد وتدبراً وتأملاً وبالسمع يُصغى للقرآن ولنداء الحق والهداية والمعرفة.

إن الله تبارك وتعالى أشار في آيات كثيرة إلى أهمية النظر والرؤية والبصر والبصيرة لما لها من دور في نقل المعلومة أيضاً وفي تأليف كتاب التكوين فيسجل فيه جمال وروعة الانسجام والتألف بين المخلوقات وبالتالي الهدف الاسمي هو الوصول بالانسان الى توحيد الخالق جل وعلا عن طريق مشاهدة النظم والنظام الدقيق للخلق والتعرف على بدائع وأسرار المخلوقات والتعرف على علم وقدرة الخالق التي لا حدود لها فعلى سبيل المثال خاطبت الآيات النبي صلى الله عليه وآله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.[1]

---

١. يوسف: الآية ١٠١.

ويدعو في آيات أخرى الانسان ليفكر كيف بسط الله الأرض ولينظر إلى رفعة خلق السماوات وليرصد حركة النجوم والكواكب والمجرات كما يلفت نظر الإنسان في بداية الآية إلى خلق الجمل هذا الحيوان العجيب الذي يتميز عن كثير من الحيوانات الأخرى من جهة حجم الاستفادة منهُ سواءً في قدرته وتحمله العطش في الصحراء والجوع لأيام عديدة فضلاً عن الاستفادة من لحمه وحليبه هذه كلها مفاتيح للمعرفة عبر الاداة الحسية البصرية فيقول عز من قائل:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.[١]

وكما أن الآيات القرآنية استخدمت عبارة النظر فقد استخدمت أيضاً عبارة الرؤية كتلك التي تدعو للتأمل في حركة الطيور مثلاً بقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾.[٢]

أو التي تدعو للتساؤل لماذا لا تنظرون إلى الماء هذه المادة الحياتية كيف تحيي الأراضي القاحلة. فتبث فيها الروح والحياة وتثبت فيها الأشجار والأعشاب والنبات لتؤمن منها غذاء الحيوان والإنسان وهناك آيات أخرى ذكرت بقية الحواس مثل الحاسة الشامة واللامسة والذائقة فمثلاً حاسة الشم والتي بها نتعرف على الروائح كما ذكرت في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾.[٣] وفي هذه دلالة على تعرف نبي الله يعقوب عليه السلام على رائحة ابنه عبر ذلك القميص والقصة معروفة.

---

١. الغاشية: الآية ١٧ ٢٠.

٢. الملك: الآية ١٩.

٣. يوسف: الآية ٩٤.

كذلك حاسة التذوق حيث أشير إليها لكن بنحو غير مباشر كما في قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[١]

وكذلك حاسة اللمس حيث ذكرت في قوله عز من قائل:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.[٢]

حيث تشير هذه الآية كما يقول صاحب الميزان إلى أن الكافرين قد بلغوا مبلغاً لا ينفع معهم حتى لو انزلنا كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم فنالهُ السمع والبصر وتأيد بعض حسهم ببعض فإنهم قائلون حينئذٍ لا محالة إن هذا إلا سحرٌ مبين.[٣]

ومن الواضح أن الآية تشير لحاسة اللمس التي تعتبر أحد الرواضع المعرفية بمعنى أن حاسة اللمس كما بنيت الدراسات الفسيولوجية الحديثةواحدة من الحواس التي تؤدي عدة أدوار حيث توجد في بشرة الإنسان خلايا حسية كثيرة مختلفة الشكل وهي مخصصة لإستقبال أنواع معينة من الإحساسات فبعضها ينقل الحرارة والآخر ينقل البرودة وبعضها يحس بالألم والآخر بالضغط وقد أشار القرآن الكريم إلى أن هذا الحاسة اللمسية تنقل الآلام وذلك بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤]

---

١. النبأ: الآية ٢٤.

٢. الأنعام: الآية ٧.

٣. الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ٧، ص ١٨.

٤. النساء: الآية ٥٦.

حيث نلاحظ أن العذاب لأصحاب الأنفس العاصية يكون عبر الآلة اللمسية التي بدورها آلة معرفية وبالتالي الإشارة واضحة حيث أن تلك النفوس تدرك المعرفة والعلم عبر الطرق الحسية والآية توضح ذلك كما اسلفت فالجلد ما هو إلا ناقل للألم عبر تلك الخلايا الموظفة لتنبيه الانسان وإشعاره بالألم والإشارة واضحة وجلية كيف يذيق الله تبارك وتعالى عذابه لأولئك الكافرين.

٢ـ دور الحواس في عملية المعرفة:

أ ـ شراكة الحواس في عملية التكامل مع الآدوات المعرفية:

من خلال ما تقدم من الآيات البينات بات واضحاً دور الحواس في عملية صناعة المعرفة والكشف عن الواقع بنحو ما تستطيع الوصول إليه بإمكاناتها فلقد عرض القرآن الكريم نماذج تبين كيفية تحصيل المعرفة وطرقها عبر التوزيع البديع والمتقن في أداء الأدوات حسب لياقاتها من جهة وحسب الواقع والوسط الذي تدور في فلكه تلك المعارف من جهة ثانية وطريقة التفاعل بين الأداة والمعلومة الموافقة لها من جهة ثالثة.

لكن لا بأس في مزيد من الإيضاح حتى يكتمل المشهد ويتم الكلام فأقول لقد حافظ القرآن الكريم على منهجية معرفية واضحة في عملية تنظيم عمل الأدوات المعرفية حيث لم يقل إن الحس هو الباب الوحيد لتحصيل المعرفة كما أقر بذلك التجربون الذين ابتعدوا كثيراً عن الحقيقة ولم يؤيدوها فذهب من يدعون العقلانية أن لا دور للحواس وبكل الأحوال سأتطرق للحديث عن آراء الفريقين لاحقا والآن سأكتفي ببيان رأي القرآن الكريم.

١ـ إن القرآن الكريم يعتمد سياسة تبين الحواس والعقل حين يبين فضلهم ودورهم بقوله عز من قائل: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾.[1] و في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.[2]

ويذم من تجاهل وأهمل في جعل تلك النعم طريقاً لنيل المعرفة بقوله عز من قائل:

﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[3]

٢ـ إن القرآن الكريم اعتمد سياسة القوانين بين دور الحواس ودور العقل في بناء المعرفة الإنسانية فالحواس هي التي تقدم المادة العلمية الأولية التي يبني عليها العقل وبالتالي الحواس هي أحد عوامل صناعة الفكرة والمعلومة فالحواس تنقل صور المشاهدات الخارجية إلى الدماغ والذي بدوره يميز هذا الواقع وأحوالهُ حيث يقوم العقل في عملية الفكر من بإستقبال تلك المعلومات والمشاهدات والبحث في معلوماته وإدراكاته ليتطلع بعدها إلى الحكم الفكري أو العقلي أو المعرفي[4] وقد أشار القرآن الكريم لهذه السياسة في العديد من آياته يقول عز من قائل: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.[5]

---

١. الانعام: الآية ١٠٤.

٢. الأنعام: الآية ٣٦.

٣. الأعراف:الآية١٧٩.

٤. د.راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٥٩٠.

٥. النحل: الآية ٧٨؛ الملك: الآية ٢٣؛ السجدة: الآية ٩.

ب ـ سلبيات إهمال دور الحواس:

إن إهمال دور الحواس ما هو إلا إهمال لدور القلوب التي هي بمعنى العقول كما بينا في الفصل الأول والله تبارك وتعالى حذر من ذلك الإهمال في دور الحواس ودور العقل أو الطلب كما يعبر تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.(1)

وهذه إشارة قاطعة لأهمية التوفيق والموازة بين الدورين.

حيث يدخلان وأعني الحواس والعقل إضافة لبقية الأدوات التي سوف نتطرق لها في الحكومة المعرفية التي تمكن كل الأدوات من ممارسة دورها في بناء المعرفة بحسب قدرتها فالعقل هو من يترأس هذه الحكومة والحواس هي في مقام خدمة العقل وسوف يتبين الطريق لولوج وكسب المعلومةبالأبحاث اللاحقة.

إن القرآن الكريم يؤكد على دور الحواس من جهة المشاهدات الخارجية فنحن بالحواس نتصرف بما حولنا من آيات الخلق وبالحواس نقرأ هذا الكتاب الكوني الذي ملئ بالآيات الكونية فترانا ندركها بالبصر والسمع وسائر الحواس يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.(2)

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.(3)

---

١. الأعراف: الآية ١٧٩.

٢. الغاشية: الآية ١٧ ـ ٢٠.

٣. الأنعام: الآية ٩٥ ـ ٩٩.

فالنظر هنا يشمل كل أبعاد المعرفة من عناصر ومحاور فالقرآن الكريم يوضح لنا الفلسفة المعرفية الدقيقة القائمة على الاستفادة من كل الأدوات وتسخيرها للوصول إلى المعرفة الحقيقيةوالتي من أهمها المعرفة الإلهية.

والخلاصة:

إن للحواس دوراً هاماً لكنهُ غير مستقل في تحصيل المعرفة «وموقف القرآن الكريم هذا لهُ أثرهُ على آراء المتكلمين وفلاسفة المسلمين من حيث المبدأ وهو أن الحس خادم العقل، وتابع لهُ يمدهُ بما يحتاج إليه من صور المعلومات في مختلف الحقول والميادين المادية».[1]

٣- خصائص المعرفة الحسية وقيمتها في القرآن الكريم:

بعد ان تعرفنا على التسلسل الطريقي لإنتاج المعلومة من خلال سرد دور الحواس يمكن لنا إجمال خصائص المعرفة الحسية في نقاط فنقول:

١ـ إن حدود المعرفة الحسية كما بينتها الآيات البينات هي تلك الصور المحسوسة المادية حيث تقوم تلك الحواس بتأكيد الواقع الخارجي وتنقله إلى العقل من يقوم بإصدار الحكم بتوسط الحواس.

٢ـ «إن الحواس تؤكد وجود الأشياء ولا تعطي الأشياء وجودها»[2] وبالتالي هي معرفة ظاهرية غير مطلعة على حقائق الاشياء وكنهها.

٣ـ إن القرآن الكريم لا يعطي الحواس أفضلية وعلو رتبة في عملية المعرفة فهو ناقل للصور الخارجية للعقل لأن المعرفة الحسية غير ثابتة ولا بد من شراكة مع

---

١. د. راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ٥٩١.

٢. د. راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٥٩٢.

الإدراك العقلي حتى تصل لعملية الاستنتاج والاستنباط وتشكل اللبنات المعرفية.

٤ـ إن مساحة إدراك الحواس هي عبارة عن الجزئيات والمحسوسات والمتغيرات والتي من خلالها نتمكن من إيجاد صلة الوصل بين الإنسان والكون حتى يتم للإنسان إدراك الحقائق بحسب طاقاته وإمكاناته.

المبحث الثاني: الأداة العقلية (العقل)

أولاً ـ العقل لغة وإصطلاحاً:

أ ـ العقل لغة:

عرف علماء اللغة العقل بتعاريف عدة سأذكر منها بعض الأقوال ثم اختار فيها ما يناسب البحث:

١ـ قال الخليل الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ): عقل نقيض الجهل، عقل: يعقل عقلاً فهو عاقل والمعقول ما تعقلهُ في فؤادك.[(١)]

٢ـ قال الجوهري (ت ٣٩٣ هـ): العقل: الحجر والنهى ورجل عاقل وعقول وقد عقل يعقل عقلاً ومعقولاً أيضاً.[(٢)]

٣ـ قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): العين والقاف واللام: عقل: هو الحاس عن ذميم القول والفعل ويقال: عقل، يعقل، عقلاً إذا عرف ما كان بجهلهُ قبلُ أو انزجر عما كان يفعلهُ وجمعهُ عقول ورجل عاقل وقوم عقلا وعاقلون ورجل عقول إذا كان حسه الفهم واخر العقل.[(٣)]

٤ـ ابن منظور (ت ٧١١ هـ): عقل العقل: الحجر والنهى صد الحقد والجمع عقول والعقل القلب والقلب والعقل وسمي العقل عقلاً لانه يعقل صاحبهُ عن التورط في المهالك أي لحبسهُ وقيل: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان.

وقال: لفلان قلب عقول ولسان سؤول، وقلب عقول فهم وعقل الشيء يعقله

---

١. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٦٩.

٢. الجوهري، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٦٩.

٣. الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ص ١٥٩ ـ ٢٤٤.

عقلاً، فهمهُ، ويقال: اعقلت فلاناً أي ألفيتهُ عاقلاً وعقلته أي صيرته عاقلاً.[١]

ب ـ العقل إصطلاحاً:

لقد عرف أهل العلم العقل بتعاريف متعددة حسب المعلوم تارة وحسب التقسيمات تارة أخرى وقد اخترت من هذه التعاريف مجموعة تتوافق مع مطالب هذا البحث.

١ـ منها تعريف العقل عند ابن اسحاق الكندي حيث يقول: جوهر بسيط مدرك للأشياء لحقائقها.[٢]

٢ـ تعريف إخوان الصفا حيث عرفوا العقل بما هو عند الفلاسفة فقالوا: العقل هو خلق الله المجرد البسيط المحيط بالأشياء إحاطة روحانية «وعرفوا بما هو عند جمهور الناس فقالوا العقل هو من قوة النفس الإنسانية التي فعلها التفكير والرؤية والنطق والتميز والصنائع وحاشا كلها.[٣]

٣ـ ومنها تعريف ابن سينا: «العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها ورسومها ليس مركباً من قوة قابلة للفساد.[٤]

٤ـ وأما التعريف الذي نبني عليه من خلال بحثنا هو العقل المعرفي ان جاز التعبير «المتخذ كأداة من أدوات المعرفة وهو العقل القياسي الأرسطي وهو عبارة عن القوة المدركة للكليات في الانسان وهو معنى التعقل الذي يمثل مرتبة من مراتب الإدراك وراء الحس والخيال والوهم وبه يتميز عن بقية الحيوانات».[٥]

---

١. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، س ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

٢. يعقوب ابن اسحاق الكندي، الرسائل الفلسفية، ج ٥، ص ١٦٥.

٣. إخوان الصفا، الرسائل، ٢٠، ١ / ٢٢٨.

٤. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص ١٧٨.

٥. الدكتورالشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٦٤.

والخلاصة: أن العقل هو أداة للتفكر والتبصر والإطلاع وهو منبع للحصول على المعارف والحقائق المتقدمة وهو الأداة المعرفية التي يقيم الإنسان من خلالها ونحدد ونحكم بواسطتها فيخرج الانسان بقواه من مرتبة القوة إلى مرتبة الفعل ويمارس مسيرتهُ التكاملية بحركة تدريجية مميزاً الحق من الباطل والصواب من الخطأ والخير من الشر وبالتالي يكون من أهل الاعتبار ومن أهل الألباب ومن أهل النهى.

ج: أقسام العقل:

لقد قسم أهل العلم العقل الإنساني على نحوين:

الأول: بلحاظ المدركات فيقسم إلى بسيط ومركب.

والثاني: بلحاظ إختلاف دور العقل فيقسم إلى نظري وعملي.

الأول: القسمة بلحاظ المدركات فلو أخذنا القسمة باللحاظ الأول المرتبط بالمدركات لوجدنا أن العقل يقسم إلى قسمين:

١ـ العقل البسيط: والمقصود به في القرآن الفطرة كما في قوله عز من قائل: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾.[١]

حيث تتحدث هذه الآية عن صوت ترجع إليه فطرتي السليمة حيث يدعوني لعبادة وطاعة خالقي دعوة تنسجم مع العقل.[٢]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٣]

---

١. يس: الآية ٢٢.

٢. آية الله الشيرازي،تفسير الأمثل، ج ١٤، ص ١٥٧.

٣. الرعد: ١١

وحيث تدل هذه الآية على وجود ارتباط وعلاقة قريبة بين أعمال الانسان والنظام التكويني فإذا سار الانسان وفقاً لأصول الفطرة وقوانين الخلق فستشملهم البركات الإلهية.[١]

وغيرها من الآيات التي تؤكد هذا المعنى أي الانسان يخلق على فطرة الله تبارك وتعالى فطرة الطاعة والرحمة والحب والمودة وبعدها تأتي الأدوار الأخرى التي إما تؤسس لهُ حياة حسنة أو سيئة والنبي ﷺ يؤكد هذا المعنى بقوله: كل مولود يولد على فطرة فأبواه يهود انه وينصرانه حتى يعرب عنهُ لسانهُ فإما شاكراً أو كافراً.[٢]

من هنا نجد أن الإنسان يولد على الهداية وهي الفطرة الإلهية ثم تحت مؤثرات أخرى بعدها يحصل التبدل فإن كانت مؤثرات هدايتية كالتي يعطيها القرآن الكريم فهو على نور من ربه وأما إن كانت تلك المؤثرات شيطانية كالتي تمنحها شياطين الجن والانس فأمهُ هاوية وسوف يلقى سعيرا. ويمكن لنا تلخيص القول في القسم الأول أن العقل البسيط «الفطرة» هو الذي حدهُ أنهُ قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها.[٣] وهذا مشترك بين عامة الناس.

٢ـ العقل المركب«البرهاني»: وهذا ما لفت إليه النظر القرآن الكريم في كثير من الآيات فعلى سبيل المثال قولهُ عز من قائل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٤]

---

١. آية الله الشيرازي،تفسير الأمثل ج ١٥، ص ٥٣٧.

٢. صحيح مسلم، ج ٣، ص ٢٠٤٧، ح ٢٢؛ مسند احمد بن حنبل، ج ٢، ص ٢٣٣.

٣. الدكتور جعفر عباس حاجي، نظرية المعرفة في الاسلام، ص ١٩٤.

٤. البقرة: الآية ١١١؛ النمل: الآية ٦٤.

والمراد من برهانكم هنا هو «حجتكم»[1] بمعنى هاتوا «الدليل المؤدي إلى العلم والحجة على صحة القول»[2] ولا تكفي أي حجة بل لابد أن تكون «الحجة اليقينية التي تجلي الحق ولا تدع ريباً لمرتاب».[3] فيكون ذلك البرهان هو السلطان والسبب الحق في التسلط على مملكة العقل والقلب والروح.

ـ من هنا يمكن القول إن هذا الجزء لا يملكه أي شخص فهو محصور بأهل العلم والنظر على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وهو على غاية من الأهمية لما رأينا في تفسير الآية السابقة فيه تشيد المعلومات على نحو اليقين وتؤسس به العقائد والمعتقدات والذي عرف بأنه «العقل المدرسي القادر على الاستدلال المركب».[4] بمعنى الذي لابد من خلاله كسب الجهد والوقت والنظر للوصول إلى القدرة على تنفيذ البرهان عبر الأقيسة والموازين البرهانية من أجل الحصول على العلم وهذا لايتوفر إلا عند أهل العلم والاختصاص.

والخلاصة:

إن هذا القسم الثاني يحتاج إلى الجهد والنظر للوصول إلى القضايا التصديقية واليقينية.

هذا ما كان بخصوص القسمة بلحاظ المدركات وإليكم القسمة الثانية.

ـ القسمة بلحاظ دور العقل: إن هذه القسمة تُنتج لنا قسمين هامين في العقل:

---

١. الشيخ الطوسي، تفسير التبان، ج ١، ص ٤٠٩.

٢. نفس المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٣٣.

٣. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١١، ص ٦٩.

٤. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٦٥.

١ـ العقل النظري: وهو الذي يدرك القضايا الكلية والجزئية فالكلية يدركها بذاته والجزئية يدركها بمعونة آلاته.[1] من قبيل هذا العمل حسن وهذا العمل قبيح وبعبارة أدق إن وظيفة العقل النظري أو دورهُ متوجه لمطلق الإدراك فقط، فالعقل الذي ينطلق من البديهيات هو معصوم في تلك البديهيات لأن كل تعلم فبعلم قد سبق وأما في نظرياته فقد يخطئ ولا يمكن أن يعصم فيها إلا في حال استناده على البديهيات وصحة تطبيق المواد والأقيسة وغيره من الضوابط.

٢ـ العقل العملي: «فهو القدرة المدبرة للقوة الحيوانية في الانسان وهو منشأ للأفعال الاختيارية وهو الذي يتعلق به المدح في معظم النصوص القرآنية والروائية حيث يدعو للعمل وامتثال الأوامر الشرعية والاحكام العقلية الضرورية.[2]

يقول الصادق عليه السلام: العقل هو ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان.[3]

والخلاصة:

أن العقل النظري هو العقل الإدراكي والعملي هو العقل الباعث أو هو «العقل العمّالي».[4]

ثانياً. العقل في القرآن الكريم

سأبدأ بعرض بعض الآيات التي تتحدث عن العقل والفكر والتفكر والتي تبين أهمية العقل و دوره عبر مناقشة تفسيرية لتلك الآيات:

---

١. المصدر السابق، ص ٦٥.

٢. المصدر السابق، ص ٦٥ ـ ٦٦.

٣. الشيخ الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١١.

٤. الشيخ محمد السند، العقل العملي، ص ٣٢٨.

ـ العقل في آيات الله البينات:

١ـ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[١]

٢ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢]

٣ـ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]

٤ـ ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٤]

٥ـ ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]

٦ـ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦]

٧ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٧]

٨ـ ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[٨]

٩ـ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[٩]

---

١. طه: الآيه ٥٤

٢. آل عمران: الآية ١٩٠.

٣. النحل: الاية ٧٨.

٤. البقرة: الآية ٤٤، ٧٦، ٧٣.

٥. النحل: الاية ١١.

٦. الروم: الآية ٢١.

٧. النساء: الاية ٨٢

٨ المؤمنون: الاية ٦٨.

٩. الأنعام: ٦٥.

١٠ـ ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[١]

١١ـ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٢]

١٢ـ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

ثالثاً ـ معاني العقل في القرآن الكريم:

بعد هذا العرض لبعض الآيات سوف نتعرض لبحث مختصر نعرض فيه العناوين المرادفة للعقل فقد استخدم في القرآن الكريم عبارات مرادفة لعبارة العقل منه:

أـ النهى: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[٤]

«والنهى في الأصل مأخوذة من مادة «نهي» مقابل الأمر وتعني العقل الذي ينهي الانسان عن القبائح والسيئات»[٥] وهنا اشارة إلى عدم الإكتفاء بالتدبر والتفكر بل لابد من الاعتماد على العقل في الكشف عن الحقيقة إضافة لحس التدبر والتفكر.

ب ـ اللب: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٦] حيث تشير الآية المباركة الى الحسن في

---

١. الحشر: الآية ١٣.
٢. الأنعام: الاية ٨٤
٣. الرعد: الآية ١٠٨.
٤. طه: الاية ٥٤.
٥. آية الله الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١٠، ص ١٩.
٦. آل عمران: الآية ١٩٠.

كيفية الخلق وفي تلك الآثار الساحرة المنبعثة من هذا التكوين البديع وفي اختلاف الليل والنهار كل تلك المشاهدات الحسية والمحسوسة لا يمكن أن تترسخ معرفتها إلا عند ذوي الألباب المنيرة والعقول الفهمية التي تدرك تلك الحقائق وتلتفت إليها بأبسط طرق النظر والتفكر.

ج ـ القلب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]

والقلب هنا ما يعقل به الانسان فيميز به الحق من الباطل والخير من الشر والضار من النافع فإذا لم يعقل ولم يميز موجودهُ بمنزلة عدمه إذ ما لا أثر لهُ فوجوده وعدمهُ سواء، والكلمة الأخيرة بليغة في الواقع من جهة أن هذه الأداة هي النقطة الفصل في تحديد وجود الانسان لا الوجود المادي فحسب بل وجوده الإلهي كما أراد لهُ الله عزوجل أن يكون ،إذ جعل لهُ أداة يفهم بها ويعقل بها.

د ـ التعقل: كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]

تتحدث هذه الآية المباركة عن مخالفات يقوم بها من يدعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا المخالفان الواضحات «لان العقل يمنع من إقامة أي دعوى بغير حجة فكيف بما قد علم وظهر فساده بالمناقصة»[3] وهنا دلالة واضحة على أن الانسان العاقل والواعي لا يقيم أي دعوى من غير حجة ومستند لأن عقلهُ طريق

---

١. ق: الآية ٣٧.

٢. البقرة: الآية ٤٤.

٣. الشيخ الطوسي، التبيان، ج ٣، ص ٤٩٠.

لعلمه، فكيف يدعي أمراً واضح الفساد ،بل الآية هنا تفيد «التوبيخ العظيم بمعنى: افلا تفطنون بقبح ما تقدمون عليه فيصدكم استحبابهُ عن ارتكابه فكأنكم قد سلبت عقولكم»[١] مسؤولية عظيمة تشير لها الآية فهنلك من يدعي أن الناس تسلبهُ عقلهُ وتارة هو يقوم بسلبه كبيعه أو تأجيره...

ذ ـ التفكر والتدبر: كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]

وقوله عز من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٣] إن الله تبارك وتعالى كثيراً ما يحث الإنسان على التفكر والتدبر لإنهما يولدان نطفة الحكم والمعرفة لأن من يتفكر في هذه الصنائع الإلهية المحكمة ويتدبر في دقية المعارف وخاصة التي أتى على ذكرها القرآن الكريم لا يرى ضراً أو صعوبة للوصول إلى الحقيقة التوحيدية الخالصة والتي منتهى نتيجتها ارتباط هذا النظام بمدبر واحد والعقل بعد مقدمات النظر من تفكر وتدبر يحكم حكماً في غاية الاتقان بوجود هذا الإلهي الكريم.

فالعقل لديه اللياقة المميزة في إدارة المعرفة بعد توفر كل المتطلبات الرئيسية للحكم وعليه علينا أن ندرك ما هو الفرق بين التفكر والتدبر فنقول إن «التفكر يعني التحقيق في علل وخصائص الوجود وأما التدبر فهو التحقيق في نتائجه وآثاره».[٤]

---

١. الشيخ الطوسي، جوامع الجامع، ج ١، ص ١٠٠.

٢. الروم: الآية ٢١.

٣. النساء: الآية ٨٢

٤. آية الله الشيرازي، تفسيرالأمثل، ج ٣، ص ٣٤٩.

ط ـ التفقه: في قوله عز من قائل: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[١]

من أهم مشكلاتنا الحياتية اليومية هو موضوع التفقه سواءً أكان دينياً أم معرفياً علمياً والتفقه كما يعرفه أهل اللغة هو الفهم وهو العلم بالشيء والفهم لهُ ثم جعله العرف العلم بالشريعة فيقال العالم به يعني بعلم الشريفة. فقيه[٢]... وبقليل من التحصن في تلك المفردات التي أتى عليها التعريف نقول إن الفقه يعني الفهم وإمعان العقل وإدراكه للشيء وعلمه به وهذا ما يبحث من خلال علمائنا الأعلام في بحوثهم حول التفقه في الدين وتعلم العلوم مهما كانت موضوتها وقد تحدث الله تبارك وتعالى عن هذا العنوان في كثير من الآيات كالآية السابقة مثلاً فقد تحدثت الروايات والأحاديث عن تفسير هذا المعنى. انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون بمعنى ان تلك الجماعات لم تع حقيقة تلك الأنظمة والقوانين التي سنها الله تبارك وتعالى مع كل المحاولات الرامية لإخراجهم من ظلمات الجهل إلى أنوار النور والعلم الا أن تلك القلوب صدت عن ذكر الله وتلك العقول حجبت نفسها عن الركون إلى الحجة وإلى الأخذ والتمسك ببرهان العقل حتى.

ظ ـ البصيرة: كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[٣] وقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

---

١. الأنعام: الآية ٦٥.

٢. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٢٢، الجواهري، الصحاح، ج ٦، ص ٢٢٤٣.

٣. الأنعام: الآية ١٠٤.

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾[١]

هذا العنوان هو الدواء الشافي لكل الأمراض والمشاكل أياً كانت ومهما ارتفعت شدتها أو انخفضت فنحن بأمس الحاجة اليوم وفي كل يوم لدواء البصيرة ودواء الحجة والبرهان اليقيني هذا هو النور الذي هو نور العلم والمعرفة والحجة وهذا النور على ضربان: دنيوي وأخروي.

فأما الأخروي فهو معروف وأما الدنيوي فهو أيضاً على ضربين:

١ـ ضرب معقول بعين البصيرة: وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن.

٢ـ ضرب محسوس بعين البصر: وهو ما انتشر من الأجسام المنيرة كالقمرين والنجوم والنيران.[٢]

ومراد الآية الاولى هو الضرب الأول من الضرب الأول بمعنى الضرب المعقول بعين البصيرة فقولهُ عز من قائل: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فكلمة «بصائر» هي جمع بصيرة: ﴿أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني على معرفة وتحقق بخلاف الباصرة والتي هي عبارة عن الخارجه الناظرة.[٣]

قد يقول قائل إن البصيرة هي من البصر والرؤية لكنها في الغالب رؤية ذهنية وعقلانية.

وقد تطلع على كل ما يؤدي الى الفهم والإدراك[٤] والقرآن الكريم أحد أهم

---

١. الرعد: الآية ١٠٨.

٢. الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٥٠٨.

٣. نفس المصدر السابق ص ٤٩.

٤. آية الله الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٤، س ٤٢١.

العوامل المساعدة على تدعيم البصائر ونباتها فالله عند ما يقول قد جاءتكم بصائر من ربكم. بمعنى الباصرة على وحدانيته وانتفاء الشرك عنهُ وهي أهم ركن في بناء البصيرة الانسانية المنطلقة من توحيد الله تبارك وتعالى لا أن يكون الانسان معمي العقل والقلب والمقصود من العمى في هذه الآية هو عمى البصيرة وعمى العقل بمعنى إنسداد العقل عن العلم.

نعم هذه البصيرة هي الدواء لكل أمراضنا لكن ما تؤكدهُ الآية الثانية أنها لابد أن يكون منطلقها مبنياً على هدى وحجة ودليل وبرهان لا كما هو حال الأمة اليوم كالبعض ممن يدعون أو يزعمون أنهم يدعون إلى الله تبارك وتعالى حيث ترى أن دعواهم مستندة على حجج واهية ومزيفة تارة بتحريف مذهبي أو طائفي أو قومي وتارة بدعوى وسطية أو سلفية وقد إبتعدت وأبعدت الأمة عن الفكر المحمدي الأصيل لأنها اعتمدت بصائر غير حقه مماجعل من بعضها مجتمعا فرعونيا بإمتياز.

والخلاصة: إن القرآن الكريم أتى على عناوين ومترادفات لكلمة العقل في كثير من آياته لبيان أهمية هذه الأداة وبيان أهمية تلك المحاور المتداخلة في اعتماد كل منها على الآخر وما علينا إلا تفصيل هذه العناوين لتصبح نهجاً حياتياً نعيشه بحس و بصيرة ولذة تعقل.

رابعاً ـ دور العقل في تحصيل وبناء المعرفة الدينية:

إن المتأمل المنصف لا يستطيع إنكار دور العقل في تحصيل المعرفة فضلاً عنها أكانت دينية أم غير ذلك والقارئ العالم يدرك أن القرآن الكريم تميز عن سائر المناهج والمدارس المعرفية بأنهُ جمع بين الحواس والعقل والقلب في عملية تحصيل المعرفة كلٌ بحدوده وبدوره وبإمكاناته «فالقرآن الكريم يحصل الحس

والعقل منسجمين إنسجام الفطرة الانسانية المخلوقة بإحكام وتكامل فيما بين أجزائها»[١] وبالتالي فإن القرآن الكريم يقدمهما على أنهما متكاملين في تشكيل المعرفة ولو ظهر أي صراع بينهما في أدوارهما وحدودهما لفقدنا إمكانية تحصيل المعرفة وفقدنا قيمتها فتعطيل وإهمال دور الحواس هو في الواقع إهمال لدور العقل والله تبارك وتعالى حذر من هذه القضية فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[٢]

إن العقل هو من يقوم بعملية ترجمة مشاهدات الحواس إلى حقائق عبر التجميع والتحليل والتأليف بين كل تلك الصور والإدراكات وهو من يقف وراء الحواس بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣] فلو كانت الحواس قادرة وتملك القدرة الكافية لإقامة الحجة لما أتبعها الله بقوله أو نعقل ومرادهُ من هذا العطف في الحقيقة تأكيدهُ أنهُ لا قيمة معرفية لعمليات الحواس ومشاهداتها من دون العقل لأنهُ هو من يجعلها حقائق ومعارف.

«فالعقل هو الوحيد الذي يستطيع الجمع بين العوالم ويمهد الطريق للأداة المعرفية القلبية لتأخذ دورها بتوازن ودقة لان العقل يجمع بين كل العوالم بسر إلهي فتراه يتوجه إلى خالقه وإلى توحيده وتعظيمه العقل في عالم الشهادة يحكم بهذه الأمور بما أوتي من بصيرة وتفقه وتفكر ودراية وكذلك العقل يحكم بوجود عالم

---

١. د.راجح كردي،نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦٢٣.

٢. الأعراف: الآية ١٧٩.

٣. الملك: الآية ١٠.

الغيب وبربط بينهما»[1] وبالتالي يحقق المعرفة العليا على سائر المخلوقات والموجودات.

والله يمدح من «يعقلون» ويعقلها، وعقلوا ومن هم أولوا الألباب وألوا النهى فبالعقل يطلع الإنسان على سائر المعارف كرؤية المشاهد وسماع القصص كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[2]

فبالعقل يقطف الانسان ثمار المعرفة بالنظر إلى الوقائع ومشاهدة تلك المشاهد الكونية وبالعقل ينتقل الانسان ليبحث عن طريق للتواصل وتشيد المعلومات وتسميتها والانسان العاقل يكرس رغبة العقل فالقرآن الكريم يوضح دور اللغة في العلم والتعقل يقول عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[3]

وهناك أمور كثيرة ووظائف كنا قد تعرضنا لها في إيراد العناوين التي أتت في بحث "العقل في القرآن الكريم".

والخلاصة:

إن القرآن الكريم بنى على الجمع بين الحس والعقل ودين الاسلام هو دين العقل والتعقل ودين الفكر والتفكر فبالعقل نؤمن بعلم العقيدة وبفقه الشريعة بل بالعقل نقر بضرورة التوحيد والنبوة والمعاد وبالتالي حجية ما أتى به النبي ﷺ على سبيل المثال نابعة ومنطلقة من عنصرين:

---

١. د.راجع كردي،نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦٢٦ بتصرف.

٢. يوسف: الآية ١٠٩.

٣. يوسف: الآية ٢.

١ـ عنصر عقلي محض: كما أسلفت إن العقل يؤمن بوجود الخالق والموجود والمحاسب...

٢ـ عنصر إيماني: استند في كثير من مقدماتها على الأسس العقلية وفي الآخر على الرواية والنصوص وما شابه.

علينا أن نعي حقيقة الأدوات كلاً على حدى لا أن نذهب كما ذهب البعض إلى البرهنة على الشيء بالعقل ثم يبرهن على نقيض نفس الشيء بالعقل أيضاً لأن هذا محال.[١] أو كما ذهب البعض الآخر إلى البرهنة على عدم وجود دور للعقل ببرهان يعتقد بأن مقدماته عقلية. وأختم برواية عن النبي الأكرم ﷺ يقول فيها: «سيد الأعمال في الدارين العقل ولكل شيء دعامةودعامة المؤمن عقلهُ فبقدر عقله تكون عبادته لربه.»[٢]

خامساً ـ حدود دور العقل:

إن العقل بما يمثل عند البشر كأشرف الاعضاء وأهم مميز يميز الانسان عن سائر المخلوقات الأخرى لا يكتفي بالإدراك الظاهري للأشياء بل يستطيع الحكم على تلك الأشياء بوجودها ونهايتها ويدخل في تحليل الإدراكات الحسية وإثباتها فالقرآن الكريم يثبت دوراً عظيماً للعقل في عالم الشهادة كما تحدثنا في مبحث دور العقل.

فالعقل في عالم الشهادة يقوم بإخضاع كل شيء فيه إلى مقاييس العقل «وكلما تقدم العلم وحصل العقل على قانون علمي في هذا الكون فإنما هو انتصارٌ للإنسان

---

١. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٥، ص ٢٥٨.
٢. المحقق النوري، مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٢٠٧.

الرباني الذي جعل الله مهمتهُ في الأرض».[1] حيث سخر الله تبارك وتعالى كل شيء ليكون مجالاً لمعرفة الإنسان يقول عز من قائل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.[2] فمن هذا المجال الواسع في عالم الشهادة ينطلق الإنسان الرباني للتعرف على الله سبحانه وتعالى وللإيمان به وعبادته الذي هو الهدف من هذا الوجود الرحيم. أما دور العقل في عالم الغيب فهو مقتصر على فهم الروايات الواردة عن طريق الوحي أو النبوة وتحصيله من إدراكات في عالم الشهادة وعلوم تكشف لهُ عالم الغيب بحدود لأن العقل لا يستطيع إصدار أحكام عبثية فالواقع الذي لم يدخل فيه العقل ولم يكتشف معطياته الخاصة لا يمكن لهُ الحكم فيه إلا بمساعدة كأداة مثلاً تكون لهُ عوناً في إصدار وإعطاء الحكم وهذا ليس بغريب لأمرين الأول بأننا نتحدث عن عنصر ومخلوق شريف وهو العقل.

والثاني: لأن العقل في عالم الشهادة يتخذ من الحس معيناً لهُ حيث يكون الحس كوسيط في النقل للعقل.

هذا كله إن توفرت للعقل بيئة سليمة يستطيع العقل من خلالها أن ينشأ نشأة ربانية وفق ماأراد الله سبحانه وتعالى وبالتالي نستطيع أن نضمن مجتمعاً حاكمه وضابطه العقل في شتى المجالات التعليمية والتثقيفية وغيرها من بقية المجالات .

والخلاصة:

١ـ العقل بما هو أشرف عضو في جسم الانسان لهُ الدور الأهم وفقاً لقدراته.

---

١. د.راجح كردي،نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦٤٦.

٢. ابراهيم: الآية ٣٢ ـ ٣٣.

٢ـ العقل يدخل في عالم الشهادة بشكل واسع فيدخل في الحكم على الكليات بجدارة وعلى الجزئيات بتوسط واستعارة.

٣ـ العقل لا يدخل في عالم الغيب إلا بما أعطاهُ الله تبارك وتعالى من إمدادات في عالم الشهادة ليدخل بها بما يستطيع في عالم الغيب.

سادساً ـ خصائص المعرفة العقلية:

للعقل خصائص من جهة وظائفه ومن جهة أقسامه إلا أنهُ توجد خصائص أساسية للعقل في مجال دوره وعمله وهذه الخصائص هي :

١ـ الضرورة: "وهي ضرورة رجوع العقل إلى معلومات أولية يمتلكها على سبيل الملكة».[1] أو ما نسميه بالبديهيات وهذه المعلومات الضرورية والأولية والبديهية سواء أكانت مكتسبة بنظر أولا هي المنطلق في عمليات العقل البرهاني وهي العمدة في الاستدلالات والعمليات البرهانية.

٢ـ التعميم: إن المعرفة العقلية تتميز عن غيرها من المعارف بأنهُ بإمكاننا من خلالها «تعميم الحكم على أفراد النوع كله تعميما لا يشك في صدقه»[2] لأن المعرفة العقلية تتمتع بالجزم والثبات والشمول نظراً لقدرة العقل في تنفيذ وظائفه من تحليل وتركيب وتجريد.

٣ـ البرهان: إن المعرفة العقلية اكتسبت قيمتها وأهميتها لأنها معرفة برهانية بمعنى أنه عبر هذه المعرفة نستطيع الوصول إلى نتائج هامة لأن حجية هذه المعرفة ذاتية بمعنى أدق يمكن القول إن حجية البرهان العقلي ذاتية.[3] لأنه عبر صور قياسه

---

١. د. راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦٥١.
٢. د. زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، ص ٦٥.
٣. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص١٤٣.

هو معصوم يعصم الذهن البشري من الخطأ في التفكير لكن بشرطها وشروطها كما يقال بمعنى أنه مع وجوب مراعاة أحكام وخصائص هذا البرهان لابد أن يكون هذا البرهان معصوماً،لكن من يقوم على عملية البرهان قد لا يكون معصوماً ولقائل أن يقول إذا ما سبب هذا الاختلاف في الأحكام العقلية العامة فنقول لهُ في مقام الإجابة أنه راجع إلى أنواع القضايا الداخلة في تأليف الأقيسة وقبل هذا إلى المنهج الذي يسلكهُ ذلك الإنسان فتارة نسميه برهانياً وأخرى خطابياً وثالثة جدلياً و...

والخلاصة: لابد من الإعتناء الجدي بهذه الخصائص إذا ما أردنا أن نبدأ في المسير بإتجاه تكامل الإنسان الإلهي .

سابعاً ـ وقفة مع الأداة المعرفية العقلية :

١ـ سمي العقل عقلاً لأنهُ يعقل صاحبه عن التورط في المهالك وهو ما يتميز به الإنسان عن غيره.

٢ـ يقسم العقل إلى بسيط ومركب بلحاظ وإلى نظري وعملي بلحاظ آخر.

٣ـ وردت في القرآن الكريم عناوين كثيرة تمثل الوظائف والقدرات التي يمكن أن يقوم بها العقل من التعقل والتفكر والبصيرة و...

٤ـ إن المعرفة العقلية لازمة للإنسان بما هو إنسان ومن ثم فإن قيمة هذه المعرفة هي قيمة الإنسان ذاته في هذا الوجود وأي خلل في بناء هذه المعرفة إفراطاً أو تفريطاً في حدودها ومجالاتها يوف يؤثر في تقييم الوجود الانساني الرباني.

٥ـ يعمل العقل في عالم الشهادة كمجال فسيح لهُ في هذا العالم وكمنطلق لكشف عن عالم الغيب.

٦ـ لابد من إعداد وصناعة المعرفة العقلية على ضوء الغاية من خلق الإنسان الرباني.

المبحث الثالث: القلب

أولاً: القلب لغة واصطلاحاً

أ. القلب لغة:

١ـ الجوهري (ت ٢٩٣ هـ): القلب الفؤاد وقد يعبر به عن العقل قال الفراء في قوله: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب. أي عقل. وهذا اشرت إليه في المبحث السابق أنه يوجد للقلب معان متعددة واحد منها العقل.(١)

٢ـ ابن فارس (٣٩٥ هـ): قلب: القاف واللام.الباء أصلان صحيحان أحدهما يدل علِ خالص الشيء وشريفه والآخر على رد الشيء منه جهة إلى جهة فأول القلب: قلب الإنسان وغيره سمي لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه وخالص كل شيء وأشرفه قلبه ويقولون عزني قلب.(٢)

٣ـ ابن منظور (ت ٧١١ هـ): قلب: القلب: تحويل الشيء عن وجهه وقوله تعالى: تتقلب فيه القلوب والأبصار قال الزجاج: معناه ترجف وتخف من الجزع والخوف قال: ومعناه أن من كان قلبه مؤمناً بالبحث والقيامة ازداد بصيرة ورءى ما وعد به ومن كان قلبه على غير ذلك ردى ما ىوقف معه امر القيامة والبحث فعلم ذلك بقلبه وشاهده ببصره. والقلب: مضغة من الفؤواد معلقة بالنياط ابن سيده: القلب الفؤواد مذكر صرح بذلك الحياني والجمع أقلب وقلوب الأولِ عن الحياني وقوله تعالى: نزل به الروح الأمين على قلبك قال الزجاج: معناه نزل به جبرئيل عليه السلام عليك

---

١. الجوهري،الصحاح، ج ١ ص ٢٠٤.

٢. ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٧.

فوعاه قلبك وثبت فلا تنساه أبداً[1].

والخلاصة: أن القلب هو لب الإنسان وخالصه ومكان ترسيخ البصيرة والوعى وتثبيت المعارف والمدركات.

ب: القلب اصطلاحاً:

إن للقلب تعاريف كثيرة حسب الاختصاصات العلمية الدينية أو الطبيعية وغيرها وسوف أذكر تعاريف تخدم الجانب الديني الخاص ببحثنا هذا.

١ـ فقد عرفه الغزالي: بأنهُ لطيفة ربانية روحانية وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمطالب ولبها علاقة بالقلب الجسماني.

وقال: هو الروح الإنساني المحتمل الأمانة الله المتحلي بالمعرفة المركزية العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد.[2]

٢ـ وعرفه الجرجاني: القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلّق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم.

النفس الناطقة والروح باطنهُ والنفس الحيوانية مركبة وهي المدرك والعالم من الإنسان والمخاطب والمطالب والمعاتب.[3]

---

١. ابن منظور، لسان العرب، ج ١ ص ٦٨٥ ـ ٦٨٧.

٢. الغزالي، إحياء علوم الدين، ص ٢٠٣.

٣. الجرجاني، تعريفات الجرجاني، ص ١٦٢.

٣ـ وعرفه العلامة حسن زاده الأملي: إن الظاهر والباطن والقلب والروح والسر هي من مراتب النفس الناطقة وهي حقيقة ممتدة من الخلق إلى الأمر في مرتبة القلب نشاهد معان كلية وجزئية، يقول العارف عن هذه المرتبة «القلب» ويقول عنها الحكيم العقل «المستفاد».[1]

إن بعض العلماء فرقوا بين القلب الفصلي والقلب المعنوي وبين القلب السليم والقلب المريض إلا أنني سوف أذكر تعريفاً للقلب المريض وتعريفاً آخر أجمع فيه بين تعريف القلب المعنوي والقلب السليم

١ ـ تعريف القلب المريض: هو قلب لهُ حياة وبه علة فلهُ مادتان، تمدهُ هذه مرة، وهذه أخرى وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والايمان به والاخلاص لهُ، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه عطبه. وهو ممتحن بين داعيين، داع يدعوهُ إلى الله ورسوله ما لدار الآخرة وداعٍ يدعوهُ إلى العاجلة، وهو إنما أقربهما منه باباً وأدناهما إليه جواراً...[2].

٢ـ تعريف القلب السليم: وأما إذا ما أردنا تعريف القلب السليم فسأعرفه من خلال ما وصلت إليه بعد مطالعة لا بأس بها، فالقلب السليم: هو القلب الذي ليس فيه سوى الله تبارك وتعالى وهو حرمهُ عز وجل السالم من حب الدنيا وملذتها ومتاعها هو المنطلق لتحصيل وكسب جميع المعارف الإلهية وهو قلب المؤمن.

---

١. العلامة حسن زاده آملي، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، ج ١، ص ٤.

٢. ابن المقيم، إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٩.

وأما ما هو في القرآن الكريم بمعنى المقصود من القلب في القرآن الكريم فيقول الشيخ الشيرازي إن القلب في القرآن لهُ معان متعددة منها.[١]

١ـ بمعنى العقل والإدراك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[٢]

٢ـ بمعنى الروح والنفس كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.[٣]

٣ـ بمعنى العواطف كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.[٤]

وهناك رأي آخر للعلامة معرفت يقول: القلب في القرآن الكريم: يعني شخصية الإنسان الباطنة، وراء شخصيته هذه الظاهرة وهي التي كانت منبعث إدراكاته النبيلة، وأحساسيه الكبرى الرفيعة، المتناسة مع شخصية الإنسان الكريمة.[٥]

وقد أتى في جملة من الأحاديث والروايات عدة إشارات للقلب كما يعرفها العرفاء حيث يذهب العرفاء إلى أن القلب هو عرش الله وهو كعبة الوجود وهو بيت الرب وهناك الكثير من المواقف التي يذكرها القرآن الكريم عن تحولات العارف واستداراته عبر كل درجات الزوايا التي يطوف ويتحرك فيها ويتضح من ذلك أن

---

١. آية الله الشيخ الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١، ص ٩٠.

٢. ق: الآية ٣٧.

٣. الأحزاب: الآية ١٠.

٤. آل عمران: الآية ١٥٩.

٥. العلامة معرفة، التفسير والمفسرون، ص ١٩.

كل تلك التحولات هي تحولات بحسب المعرفة وتلقيها وقابليتهُ لاستقبالها والحصول عليها.

والخلاصة:

أن القلب هو اللطيفة الربانية الكاشفة عن حقيقة الإنسان فإما أن يكون هذا القلب حرماً من حريم الله تبارك وتعالى وبالتالي هو مكان متمم لتجليات المعرفة التي بدأت بالحسب والعقل وإما ان يكون حرم من حريم الشيطان وبالتالي هو مكان لبروز وظهور وتفشي الأمر بكافة أشكالها وألوانها.

ثانياً: القلب أداة من أدوات المعرفة:

الواضح من كلا التعريفين اللغوي والإصطلاحي أن القلب هو أداة يمكن أن نصل من خلالها إلى المعرفة لكن علينا أن نميز أي نوع من المعرفة هذه، بمعنى أن المعرفة الحسية تتحصل بالحواس عن طريق المشاهدات الحسية المتنوعة والمتعددة الاشكال والمعرفة العقلية تتحصل بالعقل عن طريق الاستدلال العقلي والبرهان وأما المعرفة القلبية فهي تتحصل عن طريق القلب عبر الوجدان فمثلاً لو قارنا بين المعرفة العقلية والقلبية وما هي الفوارق بينهما فتجدان أن هناك فارقين اساسين.[1]

١ـ إختلافهما في مركز الارتباط: فالمعرفة العقلية مرتبطة بالدماغ والقلبية مرتبطة بالقلب.

٢ـ إختلافهما في نوع المعرفة: فالمعارف العقلية تساوي العلم والمعرفة والقلبية تساوي الوجدانيات والقلب لا يمكن أن يصل لهذا المستوي إلا بعد ترتيب بناء المنهج المعرفي ولابد لأي رؤية كونية من أجل بنائها وقيامها أن تُعتمد على البرهان

---

١. محمد الريشهري، المعرفة في الكتاب والسنة، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

حتى يمكن أن تعتمد ويثق بها القلب فقبل أن يحكم بأي شيء المفروض أن يخضع هذا الأمر الذي يريد القلب أن يحكم به للجانب العقلي في مرتبة سابقة مثلاً: أنا لا أستطيع أن أحب بمزاجية لانهُ حتى الوجدانيات لابد من أن تكون خاضعة لدساتير عقلية لأن الكون عندما أسس ونظم وتم بناؤه على أسس معايير لا يمكن أن ننظر إليها على أنها طفرة أو أنها سويت إرتجالياً فالله تبارك وتعالى يريد منا أن نحسب ترتيب الآفاق المعرفية وأن نستخدم الأداة المعرفية المناسبة في المكان المناسب وأعود للتأكيد على نقطة هامة وهي أن الإنسان يبدأ معرفتهُ ببركة الحواس ثم مع تقدمه بالحياة ودخوله خضم الحياة المدرسية فالإجتماعية يبدأ بكسب معارفه بالعقل وبعد ترتيب تلك المعارف يقوم بالربط بين تلك المنظومة المعرفية التي سيدها العقل مع المعرفة القلبية لتكون هذه المعرفة علمية ومضبوطة واعلى حلالات ومراتب المعرفة، عندها نسميهذا الإنسان بالحكيم الذي يضع كل شيء بمكانه وهذا بحاجة إلى إلتفات لأننا في زمان حجة وبرهان ولسنا في زمان منافاة وخرافات.

مع الأخذ بعين الإعتبار أنني لا أنكر على الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مشاهدات وكشوفات نتيجة عدة أمور، منها سلامة منبتهم على كافة المستويات أو منة الله تبارك وتعالى وهدايته وإصطفائه لهؤلاء الأشخاص لكن لولم يعقلوا ويتفقهوا او يرتاضوا لم يكن بمقدورهم المحافظة على هذه الخاصية أو الملكة أو تلك المعرفة بخصائصها وإمكاناتها.

وعلينا أن نعي أمراً هاماً أنه كما أن للإنسان عينين فللقلب عينين أيضاً وكما أن للإنسان أذنين فللقلب أذنين أيضاً وكما أن للإنسان فهم وتفقه فإن القلب هو مكان التفقه والفهم والإتصال بكل العوالم عند ما يصل إلى الطريق السليمة في بناء ذاته

فالعارف أنه لم يكن فقيهاً لا يمكن أن يكون عارفاً وانه لم يكن ذا عقل وبصيرة وفهم لم يكن بوسعه بناء منظومته على مستوى الرؤية الكونية وعلى مستوى الإيديولوجية.

إن كل الأدوات بحاجة إلى بعضها البعض وأنا أؤكد على أن هذه الأدوات تعمل في إطار التكامل فيما بينها لكن العقل هو من يحمل المسؤولية الكبرى وحتى عندما يصبح الإنسان قادراً على الرؤية والسمع والفهم بواسطة القلب إلا أنه لا يستطيع الإستغناء عن العقل فالعقل هو الميزان وهو من يصوب الموازين والمعايير.

- أفق المعرفة القلبية:

إن آيات الله البينات توضح لنا أفق المعرفة القلبية من خلال بيان مواصفات القلوب وصفاتها وفي النقطة التالية والتي عنوانها القلب في القرآن سنبحث أنواع القلوب بشكل يمكننا من التعرف على هذه الأداة وكيف تكون سبيلاً للسعادة عبر الإتقان في بنائها وإعدادها وكيفية حمايتها من مخاطر الأمراض التي إن وقعت في واحدة من تلك الأمراض ولم يوجد الحل الشافي فسوف تكون هذه الأداة معرضة للسقوط في مرض آخر وبالتالي سقوطها عبر سقوط كافة أركانها في شرار تلك الأمراض من هنا يتضح لنا أمور نلخصها بنقاط.

١ـ المعرفة القلبية بحاجة إلى الاستدلال والبرهان حتى تنتظم الرؤية الكونية والإيديولوجية لأنها معتمدة على ذلك وإلا لاختلط الحابل بالنابل.

٢ـ القدرة على البناء المعرفي وفق القلب لابد لهُ من استكمال في بعض الخطوات والمراحل مع العقل حتى نمكن هذا القلب من بناء المعرفة الخاصة به.

٣ـ أساس المعرفة القلبية تعتمد على التخلص من كافة الأمراض حتى يكون بإمكانه أن يرى ويسمع ويعقل وبالتالي الوصول لعين اليقين.

٤ـ المعرفة القلبية التي لا تتطابق مع الدين والعقل وتنسجم مع الأمور الغير واقعية والخيالية هي غير مقبولة بدون أدنى تردد.

٥ـ المعرفة القلبية مرتبطة بالتواضع والعزوف عن الدنيا وملذاتها وعدم الرغبة في الإستفادة من منافعها.

ثالثاً ـ القلب في القرآن الكريم:

بعد الحواس والعقل نأتي إلى القلب فهو أيضاً هو من أدوات المعرفة حيث سنقف من خلال بعض الآيات المباركة على أنواع القلوب وبعض الأمراض التي تقع فيها وبعض الحلول لها ونتعرف على ماهية هذه الأداة وحدودها وقيمتها ودورها في وقفات تالية وقبل البدء كالعادة سآتي على ذكر وعرض بعض الآيات التي تحدثت عن القلب على نحو الإجمال بما يسمح المقام.

ـ آيات القلب في القرآن الكريم:

١ـ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1]

٢ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]

٣ـ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[3]

---

١. غافر: الآية ٣٥.

٢. الرعد: الآية ٢٨.

٣. الحج: الآية: ٣٢.

٤ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[١]

٥ـ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٢]

٦ـ ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[٣]

٧ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤]

٨ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٥]

٩ـ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[٦]

١٠ـ ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٧]

١١ـ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٨]

١٢ـ ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٩]

---

١. الحج: الآية: ٤٦.
٢. النور: الآية: ٣٧.
٣. الأعراف: الآية ١٠١.
٤. محمد: الآية ٢٤.
٥. الفتح: الآية ٤.
٦. ق: الآية ٣٣.
٧. الشعراء: الآية ٨٩
٨ الحج: الآية ٣٥.
٩. الانفال: الآية ٦٣.

١٣- ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[١]

١٤- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٢]

١٥- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[٣]

١٦- ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[٤]

في الحقيقة آيات كثيرة تحدثت عن القلوب مبينةً أنواعها وصفاتها وسوف أحاول أن أقدم إضاءة بما أعلم عن هذه الأداة المعرفية عبر شرح بعض الآيات وذلك من خلال تقسيم هذه الأنواع والصفات إلى قسمين معتمداً في هذه القسمة على لحاظين اثنين مع أن هذه القسمة قد تحمل لحاظات أخرى إلا أنني سأنطلق من هذين اللحاظيين.

الأول: تقسيمها القلوب إلى قلوب الرحمن وقلوب الشيطان.

الثاني: تقسيم إلى القلوب العالمة والقلوب الجاهلة.

ومقصدي من هذه القسمة هو أنني أريد أن أبين أن القلب هو أحد أدوات المعرفة التي أتى على ذكرها في القرآن.

أ: قلوب الرحمن هي القلوب العالمة:

إن الشروط اللازمة ليكون هذا القلب ساحة من ساحات الرحمن لجنوده ليست بالسهلة فالمنطلق لهذه الشروط العلم والمعرفة والإيمان وهذه الجملة من الشروط لا يستطيع أي إنسان أن يحصل عليها ويصل لها فلا بد لهذا الإنسان أن يطهر روحهُ وقلبهُ

---

١. البقره: الآية ٨٨

٢. البقره: الآية ١٠.

٣. الأنبياء: الآية ٣.

٤. الحشر: الآية ١٤.

وينقيها من الرذائل والمعاصي ويربيها على الأخلاق والخصائل الاسلامية حتى تفتح أبواب القلب وتشرع ساحات المعرفة ونوافذ التجليات الإلهية وتنكشف أمامه الستائر والحجب ويسلك صاحب هذا القلب طريقهُ إلى الايمان الذي هو فرع المعرفة والعلم.

ومن هذا المنطلق سنتحدث عن الآيات التي تحدثت عن خصائص وصفات القلوب الرحمانية وهي:

١ـ القلوب المؤمنة المطمئنة: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[١]

إن الإيمان باعث على الإطمئنان لأن إيمانك بالشيء يجعلك تركن إليه وتصدقهُ وتذعن به وقد قلت إن الايمان فرع العلم والمعرفة «لأن الايمان هنا هو الاعتراف بتوحيد الله على جميع صفاته، والإقرار بنبوة نبيه ـ وقبول ما جاء من عند الله والعمل بما أوجبهُ عليهم».[٢]

فبعد أن آمن هذا الإنسان واطمئن قلبهُ وسكن راح يذكر الله تبارك وتعالى واستفاد من الذكر والذكر في هذه الآلة على أنحاء، منها « ذكر العلم».[٣]

إن هذه القلوب المؤمنة والمستقرة بمعنى المطمئنة تكون أقدر على فتح كنوز العلم وكشف الحقائق والقدرة على الإتصال بالماورائيات نتيجة حسن التأسيس وحسن البناء مما يجعل قلب الإنسان قادراً ومستعداً لاستقبال «عطية الهداية الإلهية».[٤]

---

١. الرعد: الآية ٢٨.

٢. الشيخ الطوسي، التبيان، ج ٦، ص ٢٤٩.

٣. الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٦.

٤. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١١، ص ٣٥٣.

٢ـ القلوب المنيبة السلمية: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ وجاءَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[١]

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[٢]

إن الآيتين السابقتين تتحدثان عن رجوع الإنسان إلى ربه في ذلك اليوم المهيب فتبين لنا الآيات طريقة العودة إلى الله تبارك وتعالى حيث لا ينفع في ذلك اليوم أي شيء لا مال ولا بنون ولا كفارات ولا ناصر إذ عليه أن يعود بقلب سليم قلب منيب لأن القرآن ينادي بصراحة بأن "الامتيازات المالية والقدرة البشرية الجماعية لا تعد إمتيازاً في ميزان الله".[٣] هي وحدها لا تكفي في ذلك اليوم وعلى الانسان أن يرد يربطها بالايمان والعمل الصالح وفي الآيات إشارة إلى دور القلب المعافى من كل الأمراض الدنيوية القلب الذي يؤسس عليه في بناء المنهج والنهج للوصول إلى الذات الإلهية المقدسة والتعرف عليها فالسليم في الآية هو السالم والبعيد عن أي انحراف أخلاقي وعقائدي أيضاً فبعد أن حصل الانسان على معلوماته من الحس والعقل وآمن بها واطمأن ليقينيتها ارتكز القلب عليها ثم انطلق إلى الله وهذه أعلى درجات المعرفة التي يحصل عليها الانسان الإلهي. إن علو الإيمان بالله وعلو المعرفة به تولد لنا القلب السليم الذي يبدأ بحركة التكامل والرقي فيزداد خشية من الله تبارك وتعالى « والخشية بالغيب هو الخوف من عذاب الله تبارك وتعالى حال كونه غائباً غير مرئي لهُ والإنابة الرجوع والمجيء إلى ربه بالبأس الانابة والخشية».[٤]

---

١. الشعراء: الآية ٨٩

٢. ق: الآية ٣٣.

٣. آية الله الشيخ الشيرازي، تفسيرالأمثل، ج ٢، ص ٦٠٦.

٤.العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٨، ص ٣٥٤.

٣ـ القلوب الواجلة اليقينة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1]

وقوله عز من قائل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[2]

إن ما يميز الإنسان المؤمن ويرسخ حقيقة الإيمان عندهُ هو ما اختص قلبهُ به «فالوجل القلبي حالة قلبية متقدمة على الاطمئنان المذكور».[3] في بعض الآيات فالإطمئنان لا يأتي إلا بعد الإيمان والإذعان أما الوجل فهو يسبق الاطمئنان بدليل أن الطريق للإيمان عند الانسان أن يكون ذاقلب وجل متهيئ لتلقي التجليات الإلهية وهو في مرحلة إنبساط الإيمان وأول فترة نموه بالوجل الذي ينشئ عن أحد أمرين:[4]

١ـ إما عند إدراك المسؤولية واحتمال عدم القيام بأوامر الله تبارك وتعالى.

٢ـ أو ناشئ عن إدراك مقام وعظمة الله تبارك وتعالى.

هذان الأمران يخلقان عند الانسان عامل التقوى خاصة وإن القلوب من مراكز التقوى فإذا تمكنت فيها ظهر أثرها في الجوارح[5] لا بل إن أعظم درجات تعظيم شعائر الله من أفعال ذوي تقوى القلوب».[6] والوجل والتقوى هي مناطة بالانسان العالم المؤمن العارف بربه حق معرفته. لان المعرفة الإلهية هي المنتجة ليقين المعارف من غير شك ولا ريب. لقد عجبت آيات المعرفة دائماً بالإيمان والعمل

---

١. الحج: الآية ٣٥.

٢. الحج: الآية ٣٢.

٣. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١١، ص ٣٥٢.

٤. آية الله الشيخ الشيرازي،تفسير الأمثل،ج ٥، ص ٣٦٢.

٥. الشيخ الطبرسي، تفسير جوامع الجامع، ج ٢، ص ٢٥٥.

٦. فخرالدين الطريحي، تفسير غريب القرآن، ص ٧٨.

الصالح والتقوى والإخلاص الخالص لله تبارك وتعالى مما لجعل قلب الانسان قلباً منقطع عن كل شيء عدا عن اتصاله بالله تبارك وتعالى.

٤ـ القلوب المؤلفة: قولهُ تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١]

إن الباحث في حقيقة المجتمعات في زمن ما قبل البعثة النبوية المباركة وما بعدها يلاحظ عدة ملاحظات والتي منها الإنعدام الأخلاقي فيما بينها من جهة وكثرة النزاعات السياسية والإقتصادية من جهة ثانية إضافة للكثير من الملاحظات التفصيلية المتناثرة هنا وهنا مع تناثر تلك المجتمعات وكثرة إختلافاتها.

لكن الله تبارك وتعالى بدد هذا الحال وحولهُ إلى أحسن حال بعد بعثة نبي الرحمة والألفة محمد بن عبدالله ﷺ وهذا ما اعترف به كثير من المؤرخين والمراقبين والمتابعين من الغربيين وغيرهم حيث يقول جان ديون بورت «العالم الإنكليزي المشهور» لقد حول محمد العربي البسيط، القبائل المتفرقة الجائعة، الفقيرة في بلدة إلى مجتمع متماسك منظم، امتازت، فيما بعد ـ بين شعوب الأرض بصفات وأخلاق عظيمة وجديدة، واستطاع في أقل من ثلاثين عاماً أن يتقلب على الإمبراطورية الرومانية، ويقضي على ملوك إيران، ويستولي على سورية وبلاد ما بين النهرين، وتمتد فتوحاتهُ إلى المحيط الأطلسي وشواطئ بحر الخزر وحتى نهر سيحان.[٢]

ويقول «نهرو» أحد علماء الهند المرموقين والسياسي البارز «إن قصة إنتشار العرب في آسيا وأوروبا وأفريقيا والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها

---

١. الأنفال: الآية ٦٣.

٢. آية الله الشيخ الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ٢، ص ٦٢٤.

للعالم أعجوبة من أعجوبات التاريخ، ولقد كان محمد واثقاً بنفسه ورسالته، وقد هيأ بهذه الثقة وهذا الإيمان لأمته أسباب القوة والعزة والمتعة».[1]

إن قدرة التأليف بين القلوب التي اختصت بالله تبارك وتعالى ومن بعده رسول الكريم كان لها الأثر الكبير في تشكيل خلايا إجتماعية تملك الأهلية على مستوى القلب ولنفس الارساء أسس حياتية ودنيوية وأخروية أفضل. ذلك لان الانسان مفطور على حب النعم الحيوية التي تتم بها حياته».[2]

إن حقيقة هذا التآلف منبثقة من نور الإيمان المتصاعد من علو درجة العلم والإدراك المعرفي الذي لا يحدد لحد لان هذا المراد معرفتهُ لا يحدد بحد أو كم أو كيف منهُ البدء وإليه الانتهاء سبحانه وتعالى.

حقاً إنها معجزة اجتماعيه عظيمة للإسلام، فالله عزوجل ألف بين هذه القلوب بعد أن أطلعها على حقيقتها ومكن لها طرق المعارف إليها فراحت تذوب فيه بعد أن ذابت فيما بينها. وهذه المعجزة لا يمكن لأحد تحقيقها بمال أو ذهب أو جاه أو غيرها فليس كل ما يلمع ذهبا إذ أن هذه المعجزات يلزمها قلب النبي ﷺ ذلك القلب السليم المنيب.

ب: قلوب الشيطان هي القلوب الجاهلة:

إن العدو الأكبر للإنسان جمعاء هو الشيطان الرجيم الذي يتربص بالإنسان مطلق الإنسان أي فرصة لينقض عليه وخاصة المؤمنون منهم فكلما ازداد الإنسان إيماناً ومعرفة بالله ورسوله إزداد ضغط الشيطان عليه وهنا تأتي أهمية الحذر من الوقوع في

---

١. جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، ص ٢٣ ـ ٢٤.

٢. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٩، ص ٨٩

كمائن هذا العدو الخطير ومن هنا تأتي أهمية زيادة المناعة عند الإنسان من تلك الأمراض المعنوية وغيرها لأن سقط قلب الانسان كما يقول أهل العلم من العرفاء في مرض من تلك الأمراض الكثيرة والتي سنأتي على ذكر بعضها يعني ضعف المناعة وبالتالي ينشأ الخوف من سقوطه أعني القلب في مرض آخر وهكذا واليك إلى أن يسقط القلب كلياً في شباك الشيطان وأعوانه وفي هذه النقطة من مبحثنا هذا سأذكر كما أسلفت بعض تلك الأمراض متضمناً بعض أسس العلاج أو طرقه.

١ـ قلوب العمى وقلوب الغفلة واللهو: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1] وقوله ايضاً: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2] وقوله عز من قائل: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[3]

إن أخطار الأمراض القلبية قد تبدأ من مرض معين أو من مجموعة أمراض دفعة واحدة أو بشكل متسارع فالقلب اللاهي والغافل وغير مدرك لحظورة هذه الأمراض بسبب إهماله أو تكبره أو لأي سبب كان تراه يسقط في أفخاخ المرض واحداً تلو الآخر. فاللهو على سبيل المثال هو منطلق ينطلق به الإنسان نتيجة الغفلة مثلاً فتراه يلهو باللعب مثلاً أو يلهو في إيقاع الفتن وبث التشنجات والنزاعات بين الناس.

ومعنى لاهية قلوبهم أي «أنها ساهية غافلة ومشغولة بالباطل عن الحق وتذكره».[4]

---

١. الحج: الآية ٤٦.

٢. الكهف: الآية ٢٨.

٣. الأنبياء: الآية ٣.

٤. فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن، ص ٦٧.

«ولو لم يكونوا في غفلة معرضين لم يلعبوا ولم يتلهوا عند استماع الذكر».[1]

اللاهي عند ما يستغرق في المتاع الدنيوية التي لا تسمن ولا تغني من جوع في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وقلب منيب فهو في غفلة وفي ضياع وابتعاد عن ساعات التلذذ بنور العلم والايمان، وبذلك يستمر ويستمر إلى أن تعمى عين القلب وقناتهُ المعرفية.

ولا بد من الإشارة أو التأكيد على نقطة أن اللهو تارة يكون في الأمور الجدية وتارة في الأمور الكلية والجدية في الأمور الحياتية التي لا تحمل المزاح واللهو والكلية في كل ساعات حياته تراه يلهو عندما تنعدم قدرة تلك القناة أو الأداة المعرفية عن تلقي المعارف ، والله تبارك وتعالى يقول في حقها: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] لماذا؟

«للتأكيد لئلا يتوهم بالذهاب إلى غير معنى القلب، لأنه قد يذهب إلى أن فيه إشتراكاً كقلب النخلة».[3] والآية عندما تقول» ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[4]

أي أن الله فتح عين قلب هذا الانسان وأعطاه القدرة على التوجه من خلال السمع والبصر لكن حول وجهتهُ وقبلتهُ وبالتالي حول وجهة القلب لأن القلب محل العقل والعلوم لأنه تعالى وصفها بأنها هي التي تذهب عن إدراك الحق.[5]

---

١. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٢٤٧.

٢. الحج: الآية ٤٦.

٣. الشيخ الطوسي، التبيان، ج ٧، ص ٣٢٦.

٤. الحج: الآية ٤٦.

٥. الشيخ الطوسي، التبيان، ج ٧، ص ٣٢٥.

إن التفكر والتعقل والتدبر إن لم يكن بعمق وراسخ الجذور لن يكون لهُ الأثر في كافة الجوانب النفسية والعلمية.

٢ـ القلوب المختومة والمطبوعـة: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢]

إن القرآن الكريم من خلال آياته المباركة يطرح جملة من القصص لا لأجل التسلية بل لأجل أخذ العبرة والوصول إلى الفائدة والغاية من أصل الخلقة ففي الآية دعوة للنظر ولمسألة الكافرين الذين وجدوا في أرض الله تبارك وتعالى واستفحلوا في تعنتهم وتكذيبهم لحقيقة الإيمان فما كان من الله تبارك وتعالى إلا أن طبع على قلوبهم «لأنهم كانوا فاسقين خارجين عن ذي العبودية لم يوفوا بالعهد الإلهي والميثاق الذي أخذ منهم من أول يوم».[٣] كذلك يطبع على قلوب الكافرين من أمتنا لأن هذا الإصرار على تلك المسيرة هو في مقام التعمد هم يعلمون حقيقة النهاية وتراهم يصرون على جهلهم وكفرهم والله تبارك وتعالى عندما أتى وصفهم بالكافرين لأن الكفر يذهب عن قلوب حلاوة الإيمان ونور الاسلام.[٤]

وهؤلاء مع كل تلك الآيات والنذر لم تلن شكوتهم وبالتالي لا فرق عندهم بين الطبع والختم فمن طبع الله على قلبه ختم على قلبه والعكس لأنه عطل عمل هذه الأداة بمحض إرادته وشهد على القلوب بأنها لا تقبل الحق.

---

١. الأعراف: الآية ١٠١.

٢. البقرة: الآية ٧.

٣. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٨، ص ١٩٥.

٤. الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٣١٧.

«إذا الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم».[١] كما قال الله عز وجل: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢] وهذا جزاء الجاحد بأعظم النعم المعرفة والايمان.

٣ـ القلوب القاسية والمريضة: قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[٣] وقوله عز من قائل: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٤]

إن الحديث عن مرض القلوب عام حيث نستطيع أن نضع كل تلك القلوب الزائفة والقاسية واللاهية والغافلة والعامية والمطبوعة والمختومة تحت عنوان عام وجامع وهو أنواع أمراض القلوب ويمكن لنا أن نصف المرض بغير ذلك بأن نحدد اكثر مع الأخذ بالعرف القرآني.

فمن الظاهر في عرف القرآن الكريم أن مرض القلب يعني الشك والريب المستولي على إدراك الإنسان فيما يتعلق بالله وآياته وعدم تمكن القلب من العقد على عقيدة دينية.[٥]

من هنا تتضح لنا أمور أهمها أن هؤلاء وأعني مريضي القلب هم فئة ذات إيمان ضعيف ومتزلزل ومن جهة ثانية لابناء معرفي محدد عندهم فتراهم أتباع كل ناعق يميلون مع الريح كيفما جاءت وهبت.

---

١. الشيخ الجويزي، تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٣.

٢. النساء: الآية ٥٣.

٣. الحج: الآية ٥٣.

٤. البقرة: الآية ١٠.

٥. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ٥، ص ٣٨٧.

«وبالتالي هذه القلوب ترى الاستقامة في التعقل معدومة فلا يذعن بما من شأنه أن يذعن به من الحق».[1]

مع وجود هذا الوضع الخطير سيتأثر القلب مع الزمن بأمور أخرى منها الصلابة في المجالات التي يراد فيها بعد النظر وسعة الأفق ،و بناءاً على تلك الرياح التي كانت يركن إليها يصبح غير قادر على إعطاء الأحكام الصحيحة والصادقة لما فقد من تأثير العواطف المعينة والمساعدة لها في إدراك الحقائق كحقيقة الرحمة والخشوع والألفة والمودة وغيرها ، فيكون هذا القلب مهيئاً للسقوط في أمراض اخرى كالتي سبق ذكرها ان لم يكن قد وقع فيها وقضي الامر.

والخلاصة: إن القلب أداة هامة وخطيرة بآن واحد مما يلزم على نحو الوجوب والإلزام أن يهتم الإنسان بهذه الآداة المعرفية فالفوارق كبيرة جداً بين الصفات الإيجابية والسلبية وأهم منطلق لتأسيس تلك الفوارق وتشكلها هو أن يوضع القلب في الميزان وأعني ميزان العلم والجهل ميزان الحق والباطل.

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[2] والحُسن هنا أن نقوم بإعداد برنامج لتقوية القلب وتحصينه من تلك الآفات والأمراض فالقلب إما أن يكون حديقة غناء غنية لأن كل أعمال الإنسان تنبع من قلبه ولذا هو مفتاح السعادة ومن الضروري الإعتناء به.

وإما أن يكون غابة تكثر فيها الوحوش الضارية وبالتالي تكون مصدراً لشقاء الإنسان وتعاسته لأن أمراض القلب لها أثر خطير وهي غير أمراض البدن المادي

---

١. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٣٩٢.

٢. الاسراء: الآية ٧.

فأمراض القلب يعم أثرها الضرري في الدنيا والآخرة بخلاف مرض البدن الذي هو دنيوي فقط لذا علينا الإلتفات لقوله عز من قائل: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] إذا علينا بالعمل المقرون بالعلم والمعرفة حتى ننطلق من كرم الإله وعطفه ونستقر في عز الإله ورحمته.

ثالثاً ـ قيمة المعرفة القلبية وحدودهافي القرآن الكريم:

لقد تحدث الله تبارك وتعالى في العديد من الآيات المباركة عن علاقة العلم بالعمل والمجاهدة حيث يقول عز من قائل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[2] فالمجاهدة والرياضة القلبية سببان متصلان في بناء المعرفة لذا فإن قيمة هذه المعرفة تتجلى بأمور:

١ـ أن التقوى والإيمان وغيرها من الصفات والمميزات تقوي بنيان هذه المعرفة.

٢ـ عامل العلم ذوالقيمة الرفيعة عند ما يجتمع مع أنوار القلب السليم والقلب الإلهي يدعمان بعضهما البعض بحيث يكون كل واحد مكملاً للآخر بمعنى العلم والعمل متلازمان.

٣ـ إن قيمة التقوى وأعني تقوى القلب تزيد على العلم بظاهر الأعمال الصادرة عن الجوارح إلا أن القرآن الكريم قد حسم الأمر في أن العلم قبل العمل لإن العمل لابد لهُ من مقدمات عملية حتى ينال المقبولية المولوية حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3].

---

١. الاسراء: الآية ٧٢.

٢. العنكبوت: الآية ٦٩.

٣. فاطر: الآية ٢٨.

٤ـ المعرفة القلبية ذات آفاق متعددة وذات مقبولية كبيرة عند الناس في حال كان هنا العارف قد بنى معرفته تلك على نحو الاستدلال والبرهان.

أما حدود المعرفة القلبية فنقول إن المعرفة القلبية اختصت بالوجدانيات وما يرتبط بالقلب وقد بينت سابقاً في فقرة "القلب آداة معرفية"، حيث إن مراتب الإدراكات القلبية تتفاوت شدة وضعفاً حيث إن الوصول إلى الحقائق تتبع سعة ظرفية الواصل «المدرك» فقد يصل الإنسان إلى هذه المراتب بنحو العرض، وقد يصل إلى تلك المراتب وتكون بالنسبة إليه لفصل جوهري حيث يكون قد حصل لذاته تكامل ورقي وجودي أوصله إلى تلك المرحلة فيتصفح ما شاء في العالم الغيبي فالذي يدرك الغيب لا يعني أنهُ أدرك كل الغيب، فالله عز وجل لا تحيط به لاالأبصار و لاالقلوب لكن عرفتهُ القلوب بحقائق الإيمان.

المبحث الرابع: الوحي

أولاً: الوحي لغةً وإصطلاحاً

أ) الوحي لغة:

١ـ يقول الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) في تعريف الوحي: يقال وحي يحي وحياً أي كتب كتباً وأوحى الله إليه: أي بعثهُ وأوحى إليه أي ألهمهُ وقولهُ عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[1]: أي ألهمها.[2]

٢ـ وأما الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) فيقول: وحي من الوحي: الكتاب، وجمعهُ، مثل: حَلي وحلي. والوحي أيضاً: الإشارة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيتهُ إلي غيرك، يقال: وحيث إليه الكلام وأوحيت وهو أن تكلمهُ بكلام تخفيه، ويروى: أوحى لها، وأوحى أيضاً أي كتب.[3]

٣ـ وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) يقول: وحي: الواو والحاء والحرف المعقل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيرهُ إلى غيرك، فالوحي، الإشارة والوحي: الكتاب والرسالة وكل ما ألقيتهُ إلى غيرك حتى علمهُ فهو وحي كيف كان.[4]

٤ـ وابن منظور (ت ٧١١ هـ) الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيتهُ إلى غيرك يقال: وحيث إليه الكلام وأوحيت ووحي وحياً وأوحى أيضاً أي كتب ووحي إليه وأوحى: كلمهُ بكلام يخفيه من غيره ووحي إليه

---

١. النحل: الآية ٦٨.

٢. الخليل الفراهيدي، كتاب العين، ج ٣، ص ٣٢٠.

٣. الجوهري،الصحاح، ج ٦، ص ٢٥١٩.

٤. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٩٣.

وأوحى: أومأ.[1]

والخلاصة: أن الوحي هو الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي.

ب) الوحي اصطلاحاً:

إن للوحي في الاصطلاح تعاريف لا تخرج إلى حد بعيد عن التعاريف اللغوية ولا حتى عن الوحي كمصطلح يمكن أن نتعرف عليه من خلال بعض الآيات المباركة كما أنهُ بإمكاننا أن نتعرف على أقسامه من خلال تلك الآيات كذلك ومن خلال تعاريف الوحي: أنهُ الكلمة الإلهية التي يلقيها إلى انبيائه ورسله بواسطة ملك يشاهدهُ الرسول ويسمع كلامه «كلام الله من غير معانيه» أو بالروايات في المنام أو بأنواع أخرى من الوحي يعلمهُ الله وتدركهُ رسلهُ صلوات الله عليهم أجمعين.[2]

وعرف أيضاً: أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعهُ عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر.[3]

وعرف أيضاً: هو الكلام الخفي ثم قد يطلع على كل شيء قصد به إلى افهام المخاطب على السر لهُ عن غيره والتخصيص لهُ به دون سواه.[4]

والوحي: عبارة عن فكرة يدركها الإنسان مصحوبة بالشعور الواضح، بأنها ملقاة من طرف اعلى منفصل عن الذات الإنسانية شعور آخر واضح بالطريقة التي تم فيها الإلقاء.[5]

---

١. ابن منظور،لسان العرب،ج١٥،ص٣٧٩.
٢. سليم الحسيني،مصطلحات قرآنية، ج ٣، ص ٨
٣. الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص ٤٧.
٤. الشيخ المفيد، تصحيح الإعتقاد، ص ١٩٤.
٥. السيد الحكيم، علوم القرآن، ص ٢٦٢.

ج) أنواع الوحي وصوره:

للوحي أنواع وصور يمكن حصرها في ثلاثة أنواع:

١- إن النبي تارة يتلقى الوحي على نحو الإلهام في القلب حيث يقول جلا وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1]

٢- أو ان يسمع عبارات وكلمات من وراء حجاب كسماع موسى عليه السلام كلام الله تبارك وتعالى في الطور يقول تبارك وتعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[2]

٣- أو ان تنكشف لهُ الحقائق في عالم الرؤيا انكشافاً دقيقاً كرؤيا نبي الله ابراهيم عليه وعلى نبينا آلاف التحية والسلام يقول عز وجل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾[3]

ثانياً: الوحي في القرآن الكريم:

إن الوحي هو الطريقة التي ترتبط بها عالم الملك مع عالم الغيب، وعن طريق الوحي يخاطب الله نبيه ويلقي عليه الحقائق والمعارف والتعاليم السماوية وعن طريق الوحي يبلغ النبي صلى الله عليه وآله كافة التعاليم الإلهية لجميع بني البشر وقد وردت كلمة الوحي في أكثر من ستين موضعاً في القرآن الكريم وخاصة في صفتي الماضي والمضارع وبشكل خاص في الآيات الملكية وسوف نقف على بعض تلك الآيات المباركة كعادتنا المعهودة.

---

١. الشورى: الآية ٥٧.

٢. النازعات: الآية ١٥ ـ ١٦.

٣. الصافات: الآية ١٠٢.

١ـ آيات الوحي في القرآن الكريم

١ـ ﴿حم عسق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١)

٢ـ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(٢)

٣ـ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾(٣)

٤ـ ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾(٤)

٥ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾(٥)

٦ـ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾(٦)

٧ـ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٧)

٨ـ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾(٨)

٩ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾(٩)

---

١. الشورى: الآية ٣.

٢. الشورى: الآية ٧.

٣. النجم: الآية ١ ـ ٤.

٤. الإسراء: الآية ٣٩.

٥. القصص: الآية ٧.

٦. النحل: الآية ٦٨.

٧. الانفال: الآية ١٢.

٨ الزلزلة: الآية ٥.

٩. الأنبياء: الآية ٤٥.

١٠ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[1]

١١ـ ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[2]

١٢ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[3]

١٣ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لنا عابدين﴾[4]

١٤ـ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[5]

بعد ان استعرضنا تقريباً أغلب معاني الوحي في القرآن الكريم سوف نقف عند هذه المعاني والتي سوف أجعلها في تسعة عناوين وهي:

١ـ وحي الانبياء والرسل: قوله تعالى: ﴿حم ۞ عسق ۞ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6]

إن من جملة المشتركات التي كانت بين الأنبياء والرسل مسألة الوحي هذه السنة الإلهية الجارية والآية المباركة تبين حقيقة الوحي وبدأ الآية بكلمة «كذلك» والتي يقول عنها أرباب التفسير أنها إشارة إلى محتوى السورة ومضامينها».[7] مما يفسر

١. مريم: الآية ١١.
٢. فصلت: الآية ١٢.
٣. المائدة: الآية ١١١.
٤. الانبياء: الآية ٧٣.
٥. الأنعام: الآية ١١٢.
٦. الشورى: الآية ١ ـ ٣.
٧. آية الله الشيخ الشيرازي، تفسير الأمثل، ج ١٥، ص ٤٦٦.

المراد من الوحي مجموعة المعارف المشتركة في عناوينها العريضة والعامة مع الإشارة إلى الخصوصيات الخاصة بدعوة كل نبي وأما الإشارة في كلمة "يوحى" فهذه دلالة على إمتداد سنة الوحي هذه السنة الإلهية منذ نبي الله آدم عليه السلام إلى نبينا الخاتم محمد صلى الله عليه وآله.

إن حصول الوحي للأنبياء والرسل كما أسلفت في نقاط سابقة له عدة أنحاء وأنواع إما عن طريق مشاهدة الملائكة وأعني ملائكة الوحي والاستماع لكلامهم أو سماع أصواتهم دون رؤيتهم أو عن طريق إلقاءات وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ اشارة إلى ماهية هذا الوحي فأنبياء الله لا يتكلمون عن طريق هوى النفس أو الأغراض النفسية بل كل كلامهم هو عبارة عن وحي إلهي فكل حركة وسكنة وقول وفصل وإنذار وبشير وغيرها من الأمور صادرة عن الوحي الإلهي للنبي وإلا لنقص الهدف الإلهي الذي أرسله اللهُ لأجله وهنا دلالة واضحة على أن الوحي مصدر من مصادر المعرفة مع تخصيصها هنا للأنبياء والرسل وسيأتي الكلام عن آخرين أوحي إليهم.

٢ـ الوحي عن طريق الرسالة المرافقة للإشارة: قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

في هذه الآية إشارة إلى معنى آخر من معاني الوحي وهو الإشارة والإيماء باليد الذي تجلى بإشارة بدعوته لهم وإيمائه لهم أن صلوا بكرة وعشياً.

وهناك إشارة قد سبقت وهو أن لا يكلم الناس بل يكتفي بالاشارة لهم وهذا بحد ذاته وحي فيصبح لدينا وحي من الله إلى نبيه زكريا عليه السلام ووحي من نبي الله عليه السلام إلى قومه فالوحي الأول قد تعرفنا عليه وأما الوحي بين النبي والناس أشار الله تبارك

وتعالى إليه بقوله: ﴿لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[1]. وهنا دلالة واضحة على أن الوحي بالإشارة يفيد معناً معيناً وبالتالي علم.

٣ـ الوحي إلى الملائكة: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما أن الله يوحي إلى رسله فهو يوحي إلى الملائكة ومضمون هذا الايحاء في الآية المباركة: «أي أني معكم بالمعونة والنصرة»[2] فبشروا المؤمنين ببشارة النصر وهذا بحد ذاته نوعٌ من أنواع العلم الذي قدم للملائكة عبر وحي الله عز وجل إليهم بأن الله سيؤيدهم ويسددهم في معركتهم وهذا ما حصل نتيجة هذا العلم الذي أورثهم زيادة في الطمأنينة ورفع الروح المعنوية لجيش النبي الاكرم ﷺ وهذا الإيحاء كان قد استند في مرتبة سابقة إلى قوة علمهم وتمكنهم من فهم العقيدة الرسالية لدعوة نبي الرحمة محمد ﷺ.

٤ـ وحي التدبر والتقدير التكويني: قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[3] يقول القمي في تفسيره أن هذا الوحي هو وحي تدبير وتقديره.[4]

وقال العلامة الطباطبائي أن الوحي هاهنا هو الخلق والإيجاد[5] وبحث الأمر فيها تشعب وارائه كثيرة تارة أوحى إليها ما أمرها من العبادة بالنسبة لنجومها وكواكبها وما أمر الملائكة... المهم أن الوحي هنا هو الوحي تكويني وهو حقيقة وجود

---

١. آل عمران: الآية ٤١.

٢. الشيخ الطبرسي،تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٣٨.

٣. فصلت: الآية ١٢.

٤. القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٦٣.

٥. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٧ص ٣٦٧.

الغرائز والقابليات والشروط والقوانين التكوينية الخاصة التي أوجدها الخالق في اعماق جميع الكائنات في هذا العالم.[١]

وهذا بيان واضح لتوضيح المعرفة من خلال الوحي التكويني الذي هو بدوره التدبير والتقدير وتوضيح قابليات الخلق وشرائطه وغاياته.

٥ـ وحي الأمر: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾[٢]

ذكرت في معنى أوحيت إلى الحواريين عدة معاني منها: ألهمتهم[٣] ومنها ألقيت إليهم الآيات التي أريتهم إياها[٤] ومنها: أمرتهم على ألسنة الرسل[٥] وهو الأقرب بمعنى أنه تبارك وتعالى يأمر الحواريين بلزوم الإيمان به وبرسوله ووجوب إتباع أوامره وإذا ما وقفنا على هذا المعنى ، نجد أن الحواريين عبر هذا الوحي قد وقفوا على حقيقة الايمان عبر إعلامهم بأمر من الله تبارك وتعالى أن آمنوا وكنا قد تحدثنا أن الإيمان يتفرع عن العلم ويشاركهُ لا بمعنى المشاركة الندية بل بالمشاركة التكاملية الإستمرارية التي أرادها المولى سبحانهُ وتعالى لكافة المخلوقات أن لا تقف عند حد معرفي معين بل تستمر محصلة وجامعة بين العلم والعمل بآن واحد.

٦ـ وحي الاخبار: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لنا عابدين﴾[٦]

---

١. آية الله الشيخ الشيرازي، تفسيرالامثل، ج ١٥، ص ٥٨١.
٢. المائدة: الآية ١١١.
٣. الشيخ الطبرسي،جوامع الجامع، ج ١، ص ٥٤٤.
٤. الفخر الرزازي تفسير الرازي، ج ١٢، ص ١٢٣.
٥. البغوي، تفسير البغوي، ج ٢، ص ٧٦.
٦. الانبياء: الآية ٧٣.

إن وحي الإخبار الذي تشير لهُ هذه الآية المباركة قد يعد من الوحي التكويني وقد يعد من الوحي التشريعي والأمر سهل لكن الأهم أن نستفيد من هذه الآية في الواقع ونفس الأمر معنى جديداً وجميلاً «هو أن فعل الخيرات بناء على المصدر المضاف يدل على الوقوع» وهنا نلاحظ فرقاً بين التعبير بـ "وأوحينا إليهم أن افعلوا الخيرات" حيث لا تدل على الوقوع والتحقيق أما التعبير بـ "وأوحينا إليهم فعل الخيرات" حيث تدل على الإخبار بالوقوع والتحقق وهذا النوع من الوحي يندرج تحت إطار الاخبار والتعرف وحصول العلم بأن أولئك الأئمة قد أقاموا وعملوا الخيرات بوحي باطني وتأييد سماوي.

٧ـ وحي الشياطين وإلقاءاتهم: قوله عز من قائل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1]

إن للشياطين وكلاء في كل زمان ومكان ولهم أتباع ولهم تابعين يعملون بما يوحون إليهم والله تبارك وتعالى يفند دعواهم وعملهم بأنهم وما يعملون من زخرف القول وما هو إلا لأنهم أعداء المعرفة والعلم ويعملون كل ما بوسعهم لإطفاء الأنوار الإلهية لأن دعوى الأنبياء هي دعوى علم ومعرفة وإيمان.

إن الآية المباركة تؤكد على عدة أمور منها عدم الركون لظاهر الكلام المنمق فقد يكون فيه ما فيه لو رجعنا إلى أعماقه أو خلفياته إذ علينا أن لا نستسلم لجميل القول وأيضاً ترشدنا لوضع آليات لمكافحة هؤلاء الشياطين وزخرفهم وهذا لا يكون إلا بالعلم بما يوحون والعلم بوضع المضادات الناجحة للحيلولة دون إنزلاق المجتمع الإنساني في شباك شرهم.

---

١. الانعام: الآية ١١٢.

إن وحي الشياطين ليس إلا وسوسة وعلى الأمة أن تكون واعية في زمن الفتن والشائعات والايحاءات المضللة.

٨ـ وحي الإلهام الغريزي: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[١]

إن هذه الحشرة الضعيفة قد تجسد فيها أورع مظاهر التدبير العجيب والعمل المتقن والهندسة الفريدة من نوعها حيث تنطلق بهذا كله من وحي ألقاهُ الله تبارك وتعالى فيها وإلهامها إياهُ بغريزتها. «فالله ألهمها وألقى في روعها وعلمها بوجه لا يعلمهُ إلا اللطيف الخبير».[٢]

إن الله عز وجل بين آلية عظيمة من مجموعة آليات لتواصله مع كافة خلقه وكافة مخلوقاته من أصغر ذرة إلى أعظم مجرده بما تضم وتحتوي وهذا أمر عظيم فآلية العلم المودعة عند هذه الحشرة أمر يستحق الوقوف عندهُ وتأملهُ بعين العالم نرى كيف تتفتق لنا الأنوار العلم ولنستفيد في بناء مجتمعاتنا وأسرنا من هذا المثال العظيم.

إن هذا المنهج تنتهجهُ وفق فطرتها وتستوحيه من باطن غريزتها فدللة لما أودع فيها من غريزة العمل المنتظم ومن ثم فهي لا تحيد عن تلك السبيل.[٣]

لذا علينا الاستفادة من ذلك في تصفية فطرتنا والتعامل المنهج مع فطرة من حولنا لان الله العلي العظيم أودع فينا أكثر مما أودعهُ في هذه الحشرة الضعيفة وهذا إلهام

---

١. النحل: الآية ٦٨.

٢. الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ٤٢٠.

٣. العلامة معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ٢٧.

في غريزة الانسان الذي ان أحسن تطوير وتنمية هذه القدرة فإنهُ سيكون قد استفاد من تقوية معلوماته الفطرية البديهية واتساع رقعتها في كافة المجالات.

٩ـ وحي الله للمؤمنين: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[١]

إن هذا الوحي هو الهام رحماني من قبل الله تبارك وتعالى لأم موسى حيث ألهمها الله تبارك وتعالى بوحي خفي «هذا ما يستعملهُ الله تبارك وتعالى في تكليمه لبعض خلقه بنحو الإلهام والإلقاء في القلب»[٢] وقد يكون تأييداً من باب اللطف بالانسان وبتوفير كل مقومات العلم والمعرفة وإيصالها بعدة أساليب حتى تكون الحجة مسلطة على كل الناس وإلهامه تبارك وتعالى وإفاضتهُ لأم موسى كما بدأت في المقدمة أنهُ إلهام رحماني لعلمه جل وعلا بحال أم موسى.

والخلاصة:

مما سبق أن الوحي في القرآن لهُ معان متعددة والله تبارك وتعالى يتواصل مع كل ما في هذا الوجود بكثير من الطرق والأساليب والتي الوحي واحدة من هذه الطرق والتي هدفها الأساسي والرئيسي إيصال المعرفة وبناء الانسان العارف والعالم من أجل الوصول إلى مصافي درجات العلم والإيمان.

وهذا واقعاً يليق بهذا الإله العظيم وبخليفته هذا الإنسان الذي يعتبر الوجود الظلي لله تبارك وتعالى ليحمل معاني خلافة الله في أرضه وليحمل صفاته وليكون يد الله الرحيمة والمؤمنة والمطمئنة والعاملة والمخلصة.

---

١. القصص: الآية ٧.

٢. العلامة الطباطبائي، تفسير الميزان، ج ١٦، ص ١٠.

ثالثاً ـ الوحي أداة معرفية:

بعد ما مر معنا من أدوات يتضح لنا أن تلك الأدوات مع بيان عظمتها العلمية والمعرفية إلا أنهّ لا تكفي الانسان ليقوم بأعظم وظائفه وأكملها في هذا الكون الفسيح فالوحي لهُ ضرورة يقرها العقل ويثبتها وهذا ليس بهضم لدور العقل والحس وقيمة كل منهما «ذلك أن للحس والعقل ميداناً لا يتجاوز انه في عالم الشهادة».[1]

لأن العقل والحس يعترفان بعدم إدراكهما لكل شيء في عالم الشهادة فكيف بعالم الغيب والحال كما أعتقد أنا أنهُ في الواقع كل من أدوات المعرفة عندما يذكرها القرآن الكريم لا تنكر وجود غيرها من الأدوات ولا تنكر عليها دورها فنحن بالعقل نجزم بضرورة الوحي وضرورة النبوة وهذا ثابت في محله.

«خاصة وأن اكثر من قدس العقل وهم المعتزلة لم يجعلوا في العقل كفاية عن النبوة»[2]

فمن باب الأولى أن يعترفوا بضرورة الوحي.

وتنطلق الحاجة إلى الوحي من بيان الأمور العقائدية والتشريعية في إلقاء الحجة على الإنسان فالوحي بما يقدم من تعاليم ومعارف يدعم مسيرة الإنسان ويدعم وظائفه فبعد الوحي قام النبي الذي بعث في الأميين ليعلم ويزكي ويتلو على الناس ما أوحى إليه ربه.

«ان حقيقة وضرورة الوحي لا محيص عنها اذا نظرنا إلى الحياة والكون والإنسان والعلائق الإرتباطية المتداخلة بينهم، والأهداف والغايات المنشودة من الانسان

---

١. د. راجح الكردي، نظرية المعرفة في القرآن والفلسفة: ص ٧١١.

٢. نفس المصدر السابق، ص ٧١٢.

تحقيقها عبر مسيرته التكاملية الإرتقائية في الحياة».[١]

الفرق بين الوحي والإلهام:

قد تبينت في شرح وبيان معاني الوحي في القرآن الكريم أهدافه وأدوارهُ وهي سنة إلهية وعلينا التمييز بين الوحي والإلهام فالوحي خاص بالأنبياء والإلهام بالأولياء وهذا واضح من آية اتمام النعمة وكمال الدين وأما الإلهام فهو مستمر.

وقد ذهب البعض إلى أن الوحي أعم من الإلهام وأن الإلهام نوعٌ من أنواع الوحي أو اقسامه وهو الحق.

وإذا ما أردنا أن نبين الإلهام فنقول إن الإلهام بمعنى حضور شيء في القلب وذلك بالقاء الله تبارك وتعالى علماً أو خبراً فيه وأعني في ذلك القلب وبذلك يتنبه الشخص الملهم إلى فعل عمل ما[٢] وحتى يتضح كل من الإلهام والوحي ألقى ضوءاً على تلك الفوارق بأن أذكر بعضها:

١ـ الوحي هو تشريع يختص به أنبياء الله تبارك وتعالى دون غيرهم أما الإلهام فهو بإمكان العموم.

٢ـ في الوحي يتجه الانبياء إلى منبع الوحي بكافة حواسهم وهم متيقنين أن الموحي إليهم هو الله تبارك وتعالى إلا أن الملهم لايدقق في مصدر الإلهامات لكن عينهُ على الآثار.

٣ـ الوحي يكون عن طريق إفاضة مباشرة مفاجئة أما الإلهام أو بعض أقسامه قد تحتاج إلى رياضة وجهاد وسلوك.

---

١. د. جعفر عباس حاجي، نظرية المعرفة في الاسلام،: ص ٣٠٥.

٢. ابن منظور،لسان العرب، ج ١٢، ص ٣٤٦.

رابعاً ـ الإلهام في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم تحدث عن أربع أنواع من الإلهام.

١ـ الإلهام اللطيفي: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[١]

حيث أبلغها الله عزوجل عدة أمور في هذه الآية ،إكرامه لموسى وإلهام أمه وضعه في صندوق وتركه في الماء وعودته وجعله من الأنبياء وغير ذلك وهناك أمثلة عديدة كقصة يوسف عليه السلام ومريم (عليها السلام).

٢ـ الإلهام الفطري: قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٢]

تبين هذه الآية أن النفس لديها القدرة على التميز بين التقوى والفجور والجيد والقبيح ويصطلح على هذا الإلهام بالإلهام الفطري التكويني.

٣ـ الإلهام الغريزي: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[٣] وكنا تحدثنا عن هذه الآية وهدى الله تبارك وتعالى الذي أعطاهُ لهذا الكائن البسيط من نظام وترتيب عجيب.

٤ـ الإلهام التكويني التقديري: قولهُ تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾.[٤]

حيث أعطى الله تبارك وتعالى مخلوقاته القدرة على الشهادة وهذا ما قدرهُ تبارك وتعالى عند ما كون وخلق السماوات والأرض.

---

١. القصص: الآية ٧.

٢. الشمس: الآية ٧ ـ ٨.

٣. النحل: الآية ٦٨.

٤. الزلزلة: الآية ٥.

خامساً ـ مجالات وخصائص المعرفة بالوحي:

١ـ إن مجال المعرفة النبوية أنها عن طريق الوحي ووهي مخصصة لفئة من البشر هم الأنبياء الذين اصطفاهم الله تبارك وتعالى وأن هذه المعرفة ربانية المصدر فالوحي علم موحي من الله وبذلك يتميز عن التصوبات الفلسفية والعقلية الناشئة من الفكر البشري.[1] وهذا الحد ذاته ما يميز هذا النوع من المعرفة بل وتعطي الفكر البشري قيمتهُ ومجالاته في عالم الشهادة والمعرفة بهذا النحو غير مختصة بالبشر بل هي شاملة لكل موجودات هذا الوجود.

٢ـ إن أسس وأركان هذه المعرفة ثابتة لأنها صادرة عن الله تبارك وتعالى فهي لا تتأثر بالعوارض كالحسية والعقلية وهذه المعرفة شاملة وخالدة لعالم الشهادة ولعالم الغيب قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[2]

٣ـ الواقعية والإيجابية فهذه المعرفة هي واقعية في الواقع ونفس الأمر من خلال مطابقتها لعالم الغيب والشهادة وكذلك من جهة الانسان وحدود استخلافه في الأرض وهي ايجابية في كلتا الحالتين حيث تبعث على التناغم بين الذات الخالق والذات المخلوقة.

خلاصة في الوحي:

١ـ الوحي في اللغة الاشارة والكتابة والرسالة والكلام الخفي.

٢ـ الوحي في الاصطلاح:

٣ـ انواع الوحي ثلاثة مترجمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا

---

١. د. راجح الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٧٨١.

٢. الحشر: الآية ٢٢.

وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[١]

٤ـ لقد صرح القرآن الكريم بمعان عدة للوحي ومن خلالها استطعنا أن نميز الوحي ومعانيه في القرآن الكريم مؤكداً أن الوحي من أدوات المعرفة.

٥ـ إن العقل والحس غير كافيين لإنتاج المعرفة الانسانية ولابد من الوحي الذي هو ضرورة من ضروريات النبوة التي آمن بها عقل الانسان وحواسهُ.

٦ـ ادوات المعرفة تكمل بعضها البعض وكل في فلك يسبحون وهذا أساس الجبلة.

٧ـ لابد من التدقيق بين الوحي الخاص بالأنبياء وبين الإلهام الخاص بالأولياء.

٨ـ الإلهام في القرآن على أربعة ضروب: لطيفي ـ فطري ـ غريزي ـ تكويني.

٩ـ مجالات الوحي عالما الغيب والشهادة وهو حصرياً من الله جل وعلا.

أما خصائصهُ الواقعية ـ التوازن ـ الشمولية ـ الإيجابية وغيرها.

١. الشورى: الآية ٥٧.



الفصل الثالث:

إطلالة على المدارس المعرفية

وفيه:

- المبحث الأول: المدرسة الأخبارية.
- المبحث الثاني: المدرسة الكلامية.
- المبحث الثالث: المدرسة العرفانية.
- المبحث الرابع: المدرسة الإشراقية.
- المبحث الخامس: مدرسة الحكمة المتعالية.
- المبحث السادس: المدرسة العقلية البرهانية.
- خاتمة في المدارس المعرفية.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة:

إن سبب تنوع المذاهب المعرفية أو المدارس المعرفية راجع إلى الإختلاف في المنهج المعرفي وكما بينا في الفصل الأول إختلاف المناهج المعرفية سيؤدي إلى اختلاف في الرؤى الكونية والأيديولوجيات المترتبة على تلك المناهج.

صحيح ان كل المدارس المعرفية غايتها واحدة وهدفها واحد وهو معرفة الواقع على ما هو عليه لكن الإختلاف باقٍ وموجود ما لم نحسم الصراع القائم فيما بينها والذي أرجعهُ أهل العلم إلى اختلاف الطرق والأدوات واختلافهم في دائرة حجية الأدوات ومدى ارتباطها ببعضها البعض.

وخادمكم في هذه الإطلالة البسيطة على هذه المدارس المعرفية الإسلامية فقط. سيقوم بعرض لهذه المدارس منه دون الدفاع والتبرير لبعضها ومن دون نقد الآخر مع الأخذ بعين الإعتبار أنني أؤمن بأن أدوات المعرفة كلها تشكل الحكومة المعرفية برئاسة العقل وهذه الرئاسة ليست على نحو الديكتاتورية بل على مبدأ الآية الكريمة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ لأن هذا الشكل هو المسلم عند أهل العلم سواءاً صرح به أو بقي في دفات الصدور وهذا ما ينبغي أن نكون عليه في الواقع ونفس الأمر.

المبحث الأول: المدرسة الأخبارية

لقد استمرت هذه المدرسة الأخبارية التي هي من بقايا جذور منحرفي الديانات السابقة حتى مع بداية الدعوة الاسلامية لا وبل حتى يومنا هذا فاليوم عندما نرى الآلاف من الدعاة من أتباع الجماعات السلفية والوهابية وغيرهما من التسميات في بقية الفرق والطوائف نلاحظ جلياً معالم هذه المدرسة والذين قد شوهوا معالمها وأدخلوا فيها بدع الفتاوى ومكشوفة وما نعيشهُ اليوم من حرب علنية على مستوى الفكر وعلى مستوى تحديات وعي العقول ندرك ماهية هذه الجماعات...

يمكن تقسيم الأخبارين إلى قسمين:

١ــ أخباريين كلامين: وهم الذين أخذوا في مناقشة وتدقيق الأحاديث والأخبار واجتهدوا في هذا المجال عبر الطرق العقلية الجدلية وليس البرهانية.

بمعنى أنهم لم يكتفوا بقراءة النص والاعتماد على الظاهر العرفي للنص بمستوى الظن وحسب، بل اعتمدوا على اعتقاداتهم الشخصية التي كانت المنطلق لبقية النقاط او المباني في كافة العلوم الاسلامية وهذا سيكون عنوان المبحث القادم تحت اسم المدرسة الكلامية.

٢ـ أخباريين سلفيين: وهم الذين أسقطوا الأمة في أتون الجهل والعمى وعدم الوعي على كافة المستويات وهم من ذلك الزمن إلى يومنا هذا مرتبطون بالماسونية اليهودية وكانوا وما زالوا ينفذون أجنداتهم الرخيصة وقد تفشوا في كثير من المدارس والمذاهب والمراكز الدينية العالمية وهذا واضح حتى أنهُ أصبح نهجهم مشخص حتى على مستوى الحكام والزعماء وهدفهم السيطرة على الشعوب سياسياً

وإقتصادياً واجتماعياً وفكرياً.

لكن للأسف اليوم أصبحت هذه المدارسة وأعني بالأخبارية القسم الثاني المتلبسة بلباس الوهابية تارةو السلفية أخرى ،المهم أنهم أصحاب منهج لا معرفي بل أصحاب منهج تكفيري وهم الرافضون لكل أشكال البحث العلمي الموضوعي «وهؤلاء يرفضون أي نحو من التعقل في فهم الدين ويحاربون التعمق في المعرفة الدينية ولا يبالون بمنافاة عقائدهم الدينية للبراهين العقلية ما دام هذا هو المقتضى للظهور العرفي للنصوص الدينية».[1]

فما يسمون أنفسهم «بأئمةالدين والمذاهب » هم من تزعموا هذا النهج ومن تبع خطاهم من ابن تيمية وغيره وكانوا يوفتون بما يناسب الحاكم وبما يملي عليهم اليهود فحقيقة معاركنا اليوم هي من تلك الأيام وإنحرافاتها.

وهذا ما نكشفهُ من حقيقة أقوالهم الواضحة والتصريح «فمالك ابن أنس يقول: «إياكم والبدع، قيل يا أبا عبدالله، وما البدع قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنهُ الصحابة والتابعون لهم بإحسان».[2]

وروى عن مالك أنهُ قال لأحد اصحابه: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمراً فإنهُ ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان علماً، لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنهُ باطل يدل على باطل.[3]

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ٨٨

٢. مصطفى عبدالرزاق، تمهيد التاريخ الفلسفة، ص ١٥٥ـ الفخر الرازي،تفسير الرازي، ج ٢، ص ٩٦.

٣. الأنصاري الهروي، ذم الكلام وأهلهُ، ج ٥، ص ٧٢.

وقال ابو حنفيه: لعن الله عمرو بن عبيد، فإنهُ فتح الكلام فيما لا يعينهم من الكلام[1] وعن الشافعي أنهُ قال: مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم في البلاد.[2]

إلى غيرهم من أئمة «الطائفة الشقيقة» الذين يدعون علانية إلى محاربة العلم والإكتفاء بما يقولهُ المحدث وهذا السبب الرئيس لاستصحاب الجهل في عموم مجتمعات الأمم كلها فمحدثوهم يتحدثون ويفتون بدون دليل أو بدليل هم لفقوه ووضعوه لغايات الجهل والتخلف والعصبية التي سقتها مؤثرات أخرى ، مسيحية مغضوب عليها أو يهودية ضالة منحرفة وبكلا الحالتين لا يرد لا على تلك ولا على ذيك لسخافتهما.

والخلاصة أن أصحاب هذه المدرسة حرفوا مسيرتها باتجاه التكفير وعدم قبول العلم وقبول الرأي الصحيح والإكتفاء بالأخذ بظاهر النص وتفسيره وفقاً لأهوائهم وأجنداتهم وشنهم حرب ضد التعمق في المعارف بينما أئمة أهل البيت دعوا الناس للتفكير في أسماء الله وصفاته بما وصف الله به نفسه وإلى عدم إنكار أحكام العقل التي هي أحكام الدين الضرورية وعملية فقهية وعقدية.

---

١. نفس المصدر: ج ٥، ص ٢٢١.

٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج ١٣، ص ٢٩.

المبحث الثاني: المدرسة الكلامية

بينت في المبحث الماضي أن الأخباريين النقليين ينقسمون إلى قسمين وتحدثت عن قسم الأخباريين السلفيين بما يناسب المقام وفي هذاالمبحث سنبحث عن الأخبارين أو عن المتكلمين بتعبير أدق ،وكما تقدم في ذلك المبحث قلت إن هؤلاء قد أبدعوا في إيجاد الطرق والوسائل العقلية إلى حد ما وفق مبانيهم إلى ظهور هذا العلم ،وعندما نتحدث عن هذه المدرسة لابد أن نعي أن هناك فرقاً وآراء ضمن هذه المدرسة المعرفية فكل فرقة أو مذهب لهُ علماؤهُ وبالتالي لهُ آراءهُ.

إلا أنني لن أدخل في هذا المعترك الطويل وسأتحدث بأمور إجمالية مبيناً ملامح هذه المدرسة.

فقد عرف علم الكلام بتعاريف كثيرة منها:

١ـ بأنهُ العلم الذي يبحث في أصول الدين الإسلامي.[١]

٢ـ أو بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية.[٢]

وتعريف التفتازاني أدق من الأول...

أما غايتهُ فيمكن تلخيصها في غايتين:[٣]

١ـ تنويرية: ومرادها تطوير الفهم الايماني للإنسان المسلم

٢ـ دفاعية: ومرادها نصرة العقيدة الاسلامية والدفاع عن الدين الحنيف.

---

١. الشهيد مرتضى مطهري، اشنايي با علوم اسلامي، علم الكلام، ص ١٣.

٢. التفتازاني، شرح المقاصد، ج ١، ص ٢٧.

٣. الشيخ حسن مكي العاملي، بداية المعرفة، ص ١٥.

ويحمل التهانوي الغايات من علم الكلام بكلمات هي: «فائدة علم الكلام وغايتهُ والترقي من خصيص التقليد الى ذروة الإيقان وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الذين عن إن يزلزلها شبه المبطلين وأن تتبنى عليه العلوم الشرعية».[1]

وأما منهج هذه المدرسة الكلامية من الناحية المعرفية فيرتكز على نقاط أهمها:

ـ النقطة الأولى: «الإنطلاق من الاعتقادات الشخصية»[2] وهي غير قابلة للمناقشة والتي حصلوا عليها عبر إستظهار النصوص الدينية وفي هذه النقطة حالهم كحال الأخباريين السلفيين.

ـ النقطة الثانية: إثبات هذه الاعتقادات الشخصية وتطبيقها بأدلة العقلية بمعنى أنهم يعتقدون ثم يستدلون.

ـ النقطة الثالثة: «إعتماد المنهج العقلي الجدلي المقيد بالشرع»[3] ما ارتكز في أذهانهم حسب فهمهم. وليس بالاعتماد على استدلال العقل وبرهانه.

ـ النقطة الرابعة: كثرة جدالهم وحبهم للنقض والمعارضة وهجومهم العنيف على من يخالفهم في مبانيهم.

الخلاصة:

هذه أبرز معالم هذه المدرسة والتي هي بحاجة إلى إعادة ترتيب قواعدها ومنطلقاتها حتى تكون مدرسة معرفية تستطيع إعطاء الانسان الرباني منهجاً يكون

---

١. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص ٣١.

٢. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي،ص٩٨.

٣. نفس المصدر السابق.

من خلاله إنساناً ذا معرفة وبصيرة وذا فكر لأنهُ وللأسف حتى أصحاب هذه المدرسة من بقية الطوائف أصبحوا في كثير من مناقشاتهم وحواراتهم يعتمدون منهج السلفيين والوهابيين مما يظهرهم على الناس بشرهم وحبثهم ، ونلاحظ كثيراً من المتكلمين اليوم انحرفوا لأغراض سياسية وغيرها معتمدين شعاراً ذهبياً لهم: الغاية تبرر الوسيلة. علماًإنهُ ليس بمقدورهم التقوي بهذه القوى ليهيمنوا على العالم.

المبحث الثالث: المدارس العرفانية

لم يكن حال المدرسة العرفانية في أول نشأتها كحالها اليوم حيث كانت «عبارة عن سلوك عملي محض خالي وبعيد عن مقام البحث والتحقيق العملي»[١] وإلى أن دخل بعض الفلاسفة في رحاب هذه المدرسة كشيخ الاشراق السهروردي « ت ٥٨٧ هـ» والملا صدرالدين الشيرازي «ت ١٠٥ هـ» صاحب الحكمة المتعالية فحققوا في مسائل هذه المدرسة ودافعوا عنها بالأسس العقلية البرهانية.

إن المدرسة العرفانية تعتمد على قلب الإنسان كأداة معرفية وحيدة في كشف الحقائق[٢] لما يملك هذا القلب من استعدادات لإشراق العلوم الغيبية عليها في حال تغلب على تلك التعلقات النفسية بعالم المادة.

حيث لابد أن تتصفى هذه النفس عن كل ما يشغلها عن التوجه إلى الله تبارك وتعالى حتى تصل وتنال الحقيقة، ولا تعتمد هذه المدرسة المعرفية على الاستدلال العقلي أبداً وترى هذه المدرسة أن يد الاستدلاليين جذاء، وليس الهدف لديها كشف الحقيقة فقط، بل الوصول إليها.[٣]

ويعتبر محي الدين بن عربي أنموذج هذه المدرسة حيث لم يسبقهُ أحد إلى تدوين مسائل علم العرفان.

إن المدرسة العرفانية والمدرسة الإشراقية تشتركان في جهة وتختلفان في جهتين:[٤]

---

١. أصول المعرفة الاعتقادي، د. أيمن المصري: ص ١٠٦.

٢. نفس المصدر: ١١٢.

٣. مدخل إلى العلوم الإسلامية الشهيد نرتضى مطهري، ص ١٢١.

٤. نفس المصدر السابق: ص ١٢١.

١ـ أما جهة الإشتراك: فتشتركان في تهذيب النفس وتزكيتها.

٢ـ وأما جهتي الإختلاف:

أ ـ أن العارف ينفي الاستدلال كلاً، خلافاً للفيلسوف الإشراقي الذي يعمل به إلى جانب تزكية النفس.

ب ـ اختلاف الغايات وهو أمرمهم في التنقيح فغاية الفيلسوف الإشراقي هي الوصول إلى كشف الحقيقة بينما العارف يهدف لبلوغها.

وفي الخلاصة نقول:

إن العارف يؤمن بالكشف لا بالأستدلال البرهاني.

٢ـ القلب هو الأداة المعرفية.

٣ـ لابد من تصفية النفس الإنسانية من كل الأمراض المعنوية حتى تصل إلى الحقيقة وتنالها.

٤ـ «إن هذه المدرسة تعتمد على المعلم الذي يكون لهُ دور التوجيه التكويني لمرآة قلب السالك إلى جهة الإشراق من باب معرفته بالأحوال النفسانية للمريد من جهة وخيرته العالية بمنازل الطريق من جهة ثانية».[1]

وفي النهاية المدرسة العرفانية هي «عبارة عن حركة وجدانية في التعلقات النفسانية بالانتقال من حالة نفسانية خسيسة إلى حالة نفسانية معنوية شريفة بهدف الوصول إلى المفيض الأول الحق تبارك وتعالى.[2]

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ١١٢.

٢. نفس المصدر السابق: ص ١١٣.

المبحث الرابع: المدرسة الإشراقية

هي مدرسة أسسها شيخ الإشراق السهروردي حيث «يعتمد في مدرسة على البحث العقلي البرهاني للكشف الذوقي العرفي، ويعتبر الطريق الثاني منطلقاً وأساساً للأول»[(١)]

وبمعنى أدق يعتمد شيخ الإشراق على المزاوجة بين العقل والكشف في منهجه المعرفي فهو يحث في كثير من كتبه على «أن يتقن الانسان المناهج الاستدلالية البرهانية ويظهر نفسه بالمداومة على الأمور المقربة إلى العالم القدسي والطهارة».[(٢)]

بعد هذه المقدمة نلاحظ ملاحظتين اساسيتين:

الأولى: يشابه المدرسة العقلية من جهة عمليات الكشف بواسطة القلب عبر للرياضيات النفسية العبادية ويختلف معهُ من جهة الفهم والإدراك العلمي والحصولي وكما يقول صدر المتألهين عن الفرق بينهما: «والفرق بين علوم ذوي الأبصار، كما بين أن يعلم أحد حد الحلاوة وبين أن يذوق الحلاوة، وكم فرق بين ان تدرك حد الصفحة والسلطنة وبين أن تكون صحيحاً سلطاناً وكذلك مقابل هذه المعاني».[(٣)]

الثانية: يشابه المدرسة العقلية من جهة إعتماده على عمليات النظر والاستدلال البرهاني إلا أن شيخ الإشراق يضيف الكشف ويقدمهُ في منهجه العرفي على النظر

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري، أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ١٢٨.

٢. السيد كمال الحيدري مدخل إلى منهج المعرفة عند الاسلامين، ص ٢٤٣.

٣. صدر المتألهين، تفسير القرآن الكريم، ج ٧، ص ١٠.

والبرهان وبعبارة أحلى يسقط البحث الفلسفي ويبينه على الكشف العرفاني بقوله: «وكما أن شاهدنا المحسوسات وتيقنا بعض أحوالها ثم بنينا عليها علوماً صحيحة كالهيئة وغيرها ـ فكذا نشاهد من الروحانيات أشياء ثم بني عليها، ومن ليس هذا سبيله فليس من الحكمة في شيء وستلعب به الشكوك».[١]

ـ لقد اعتمد شيخ الإشراق في مجال الطهارة المعنوية والروحية على أمرين في غاية الأهمية الأول: قراءة القرآن الكريم «وعليك بقراءة القرآن مع وجد وطرب وفكر لطيف وأقرأ القرآن كأنه ما أنزل إلا في شأنك فقط»[٢]

الثاني: قراءة الأدعية حيث يقول «وكان كثير الدعاء في أمر آخرتك فإن الدعاء نسبتهُ إلى استجلاب المطالب كنسبة الفكر إلى استجلاب المطلوب العلمي فكل؟؟؟ لما يناسبه».[٣]

الخلاصة:

أن مدرسة شيخ الإشراق تعتمد على نقاط رئيسية ثلاث في الإنطلاق لمعرفة الحقائق الكونية والوجودية وكشفها ودراسة أحوالها وهي:

١ـ المكاشفة والمشاهدة.

٢ـ النظر والاستدلال العقلي البرهاني.

٣ـ الإهتمام بالكتاب والروايات والأدعية.

---

١. شيخ الإشراق،مجموع مصنفات ج ٢، ص ٩٠.

٢. شيخ الإشراق،سه رساله از شيخ إشراق: ص ١٢٩.

٣. ديناني،فلسفة السهروردي، ص ٤١.

المبحث الخامس: مدرسة الحكمة المتعالية

هي المدرسة التي أسسها الفيلسوف الشهيد والحكيم المتأله صدر الدين الشيرازي المعروف بـ«ملا صدرا» حيث اعتمد على ثلاثة مناهج معرفية لكشف الواقع وهي البرهان والقرآن والعرفان.

إن هذه المدرسة كما يتحدث عنها مؤسسها اعلى الله مقامه في كيفية تأسيسها وبلورتها ومعالجتها لقضايا الكون من خلال منهجها الخاص «فابتكرت طريقة فلسفية جامعة أوجدت انقلاباً فكرياً في تاريخ الفلسفة والعلوم والعرفان ووجدت بذلك بين الفلسفة والآراء الدينية من ناحية وبين الفلسفة والعرفان من ناحية أخرى، ودمجت العناصر المشائية والإشراقية والعرفانية والدينية، فتكوّن من دمجها ومزجها وتوحيدها فلسفة متعالية يمكن اعتبارها الحضارة الجديدة في التفكير الفلسفي. وابتكار الحكمة المتعالية هذه عملية فكرية اسلوكية تعاطاها صدر المتألهين وأدّى بذلك تكليفية إلى الإنسانية والحضارة إلى مبدئها ومبدأ الكل».[1]

وكما يقول أهل العلم أن صدر المتألهين طرح مجموعة من القواعد الجديدة في ميادين مدرسته وقسم آخر ذكر في مدارس قد سبقتهُ وبالتالي قام بترتيب اركان هذه المدرسة كما قلنا بين مناهج اساسية ثلاثة هي البرهان والقرآن والعرفان وتحصيل القوانين فيما بين تلك المناهج من أجل «الكشف عن الحقائق الإلهية عن طريق المقدمات البرهانية والمشاهدات العرفانية والمواد الدينية القطعية».[2]

---

١. صدر المتألهين الشيرازي، مفاتيح الغيب، ص ٢٧،٢٣.

٢. العلامة الطباطبائي، مجموعة مقالات الطباطبائي: ج ٢، ص ٥.

معالم مدرسة الحكمة المتعالية: يمكن تلخيص قواعد هذه المدرسة وأساسها في أربعة اقسام:

١) الوجود وما يتعلق به.

٢) ما يتعلق بمبدأ هذا الوجود وهو الله تبارك وتعالى.

٣) ما يتعلق بعلم النفس الفلسفي ـ الإنساني.

٤) المعاد وما يتعلق به.

الخلاصة:

أنهُ مما لا شك فيه أن هذه المدرسة قد أضاقت الشيء الكثير للمدارس المعرفية وفتحت أبواباً جديدة على الفكر الإنساني سواءاً اتفقنا على نجاح هذه المدرسة أو لم نتفق المهم هو ما ذكرهُ هذا الفيلسوف الشهير بكلمات لم يدع فيها التمامية والكمالية بل إنهُ بذل كل ما يقدر عليه لتأسيس مدرسة معرفية معتمداً المناهج الثلاثة السابقة حيث يقول: «وإني أيضاً لا أزعم إني قد بلغت الغاية فيما أوردتهُ كلاً فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت ولا تحصى ومعارف الحق لا تتقيد بما رسمت ولا تحوى، لأن الحق أوسع من أن يحيط به عقل وحد، وأعظم من أن يحضرهُ عقد دون عقد».[1] وهذا عين الحق أن المعارف الإلهية لا تحصى ولا تعد وأنهُ لم نؤت من العلم والمعرفة إلا قليلاً.

---

١. صدر المتألهين الشيرازي،الحكمة المتعالية في الأصفار العقلية الاربعة، ج ١، ص ١٠.

المبحث السادس: المدرسة العقلية البرهانية

هي مدرسة الشيخ الرئيس ابن سينا والتي تعتمد المنهج العقلي البرهاني في كشف الواقع والوصول إلى الحقيقة.

«ومن أهم خصائص هذه المدرسة بعد الإعتماد على المنهج العقلي البرهاني إهتمامها بالإلهيات وبحوث الميتافيزيقيا التجريدية وإقامة الروابط بين الأبحاث الفلسفية مع القضايا الحياتية الإنسانية».[(١)]

يجدر بنا أن نشير أن الكثير من المدارس المعرفية الإسلامية وغيرها كانت ترتبط بعلاقة واضحة مع هذه المدرسة وتعتمد على منهجها العقلي بمعنى أن هناك نحواً من التكامل بين هذه المدرسة وبقية المدارس.

إن لهذه المدرسة قدرات مميزة تبعاً لمنهجها المتين حيث تتميز:

١ـ قدرتها على تأسيس رؤية كونية فلسفية إلهية.

٢ـ قدرتها على إثبات شيء أو نفيه وبالتالي هي ليست بمنهج تصور بل هي منهج تصديقي.[(٢)]

إن متانة هذا المنهج نابعة من كونه يعتمد في مقدمات الإستدلال والبرهان على قضايا يقينية أو بديهية فالقياس البرهاني المؤلف من القضايا الواجب قبولها بالذات أو بالغير الذي لهدف إلى معرفة الواقع ونفس الأمر أي معرفة الحقيقة بخلاف بقية الأقيسة في بقية الصناعات «لإننا في القياس البرهاني لدينا صورة قياس منتج

---

١. السيد كمال الحيدري، مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميين،ص ٢٠١.

٢. الشيخ علي العبود، محاضرات تمهيدية في الفلسفه،ص ٢٨ ـ ٢٩.

بالضرورة العقلية الذي يفيد اليقين بالمعنى الأخص أي اليقين الثابت المطلق المطابق للواقع».[1]

إن المنهج العقلي البرهاني يعتمد على الصانع الماهر القادر على إنتقاء وانتخاب المواد الجيدة والمناسبة ثم يؤلف بينها ويرتبها وفق الصورة الصحيحة.

وحصول الخطأ في القياس البرهاني وارد إما من جهة المادة أو من جهة الصورة أو من كليهما معاً عن قواعد القياس محكمة وعلى المؤلف أن يحسن الإختيار كما اسلفت وصناعة المنطق هي التي تعلمنا كيف ننتخب المعلومات المناسبة التي تكون مادة المطلوب وكيف نؤلف بينها ونرتبها على الهيئة الصحيحة.[2]

الخلاصة:

يمكن إيجاز ما تقدم وغيره في نقاط نلخص بها هذه المدرسة:

١ـ يمكن لنا عبر هذا المنهج الوصول لرؤية كونيه فلسفية إلهية محكمة على مستوى اليقين بالمعنى الأخص.

٢ـ الخطأ في تركيب وتأليف المواد وصور القضايا لا يخدش حجية تلك القواعد العقلية وأقيستها لأن وظيفة الصانع الماهر أن يحسن الصنعة والإختيار والتأليف ويمتلك حركة تفكيرية تأليفية.

٣ـ لابد من الإهتمام بالمنطق الذي يعلمنا قواعد وأصول البرهان.

---

١. الدكتور الشيخ أيمن المصري،أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ١٤٢.

٢. الدكتور الشيخ أيمن المصري،أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص ١٤٠.

خاتمة في المدارس المعرفية:

من خلال هذه الإطلالة البسيطة على المدارس المعرفية تبين لدينا أن كل مدرسة لها منهج معرفي تعتمد عليه من خلال إعتمادها على أداتها المعرفية بمعنى أن تحديد المنهج المعرفي ومعرفته مربوط بنوع الأداة التي يعتمد عليها هذا المنهج أو نوع لأدوات كما لاحظنا في بعض المدارس المعرفية.

إن عملية تحديد الأداة ومن ثم بالتبع تحديد المنهج المعرفي يسهل على الجميع متعلمين ومعلمين ومثقفين وباحثين ومحاورين الكثير من العناء والجهد ويوفر علينا الوقت في الوصول للنتائج ومعرفة الأمور بدقة.

فمثلاً بدلاً أن نتحاور لساعات أو أيام أو أشهر ولا نصل لنتائج ونختلف في كثير من القضايا وعلى كثير من المفاهيم نلجأ إلى ذهنية معرفية بسيطة توفر علينا العناء وتعطي للحوار قيمة وأهمية من حيث الآليات والنتائج وهذا ما ينقصنا اليوم لأنهُ قد لا نستفيد شيئاً من كثير الجدال والهرج والمرج وتخرج الأمور عن نصابها فتمل الناس النصيحة وخاصة أن هناك أناس على درجة من العلم لكن هذا دينهم الجدال والإغواء تبعاً لأهداف رسمت لهم أو رسموها هم بأنفسهم.

إن هذا الباب يفتح لنا أبواباً عظيمة فتحديد المنهج المعرفي لا يختص بالإسلامين أو بالإسلام بما هو دين وعبادة لابل يمكن لنا أن نخلق منهُ مجموعة متنوعة من المناهج أو المدارس المعرفية في السياسة في الاقتصاد في القانون كما هو في الفلسفة والمعرفة الإلهية والدينية وسواءاً أكانت هذه المناهج مرتبطة بالدين أو لا...

مجتمعاتنا بحاجة للتنمية المعرفية وللخطط المعرفية في شتى المجالات ولابد من خلايا معرفية تعمل ليلاً ونهاراً في ظل قلب المفاهيم والحقائق لكن لابد من التخطيط وإداراة وعمل نموذجي ومثالي والأمر سهل يسير مع ذلك الإدراك الواعي الذي أجزم أن الجميع مدرك له تمام الإدراك.

والخلاصة:

أن التنوع في المدارس المعرفية الإسلامية لهُ بالغ الأثر في بناء وتشكل الأفكار اختلفنا معها أو اتفقا مع أنني أعتقد أن تلك المدارس ذات البرهان والعرفان والقرآن والعقلية والاستدلالية هي الأجدى والأقوى مهما كان هناك من شوائب وما شابه أعني الشوائب العلمية لكن في المحصلة هي من صنع البشر وهذا أمر طبيعي أن يظهر فيها بعض القوة وبعض الضعف لكن هذا الشيء قد يتحطم عندما ترجع إلى فهم المعرفة في القرآن الكريم حيث يؤكد على التكاملية في الأدوات والمناهج كل بحسبه كما أشرت في كثير من مواضع الفصل الثاني وفي الختام أدعو نفسي وجميع الأخوة إلى التركيز على ترميم ما أوجدوهُ السابقون من علمائنا الأكارم حتى نسجل في سجلات معرفة العلم التي صاحبها النبي الأعظم ﷺ وبابها الإمام الكرار اسد الله واسد رسوله علي بن ابي طالب عليه السلام وعلى ابنائه وزوجته آلاف التحية والسلام... والسلام.

الخاتمة

إن أهم ما يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات حتى عن أخيه الإنسان هو الجانب المعرفي والجانب الفكري وفي بحوث هذه الرسالة تعرفنا على بيان كلمات العنوان ومفرداته والمباحث الرئيسية ذات الصلة بالموضوع وخلصنا إلى نتائج منها:

١- مساوقة المعرفة والعلم وذكرت أهم الموانع المعرفية والنوافذ المعرفية.

٢- ان الحس ناقل امين لتلك المشاهدات الحسية.

٣- أن العقل هو قطب الرحى في عمليات التفكير وتصدير الأوامر وهو من يرأس الحكومة المعرفية ويستأنس بالحكم القلبي هذا في المراحل الأولى من عمر الإنسان حتى تكتمل المنظومة المعرفية ببركة العقل ليصل إلى أن يترأس القلب هذه الحكومة مع بقاء العقل يقوم بأدواره الخاصة التي لا يمكن لأحد التدخل بها وهنا مكمن عظمة الإنسان.

٤- ثم بينت أنواع الوحي وكيف أنه من الآدوات المعرفية بعدها ذكرت المدارس المعرفية الإسلامية بشيء من الإيجاز وبما يتناسب مع المقام.

وفي الختام أرجو ان يتقبل الله العلي القدير هذا الجهد المتواضع الذي أتقرب به إلى ساحة قدسه الأعظم إلى النبي محمد وآله الطيبين الطاهرين راجيا القبول وحسن الختام والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المراجع والمصادر

* القرآن الكريم.
* نهج البلاغة.

١. ابن الاثير، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، النهاية في غريب الحديث، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.

٢. ابن المقيم، شمس الدين بن محمدالدمشقي، إغاثة اللهفان، مطبعة الشرق، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

٣. ابن سينا، أبو علي حسين بن عبدالله، الشفاء، نشر البلاغة، قم، إيران، ١٣٨٣هـ.

٤. ابن سينا، أبو علي حسين بن عبدالله، الإشارات، نشر البلاغة، قم،إيران، ١٣٨٣هـ.

٥. ابن سينا، أبو علي حسين بن عبدالله، التعليقات على حواشي كتاب النفس لارسطوطاليس، مخطوطة قديمة موجودة بدار الكتب الأهلية بالقاهرة، ١٩٩٥.

٦. ابن منظور، الإمام جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٧. أبوحيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، المقابسات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٨ إخوان الصفا، أحمد المكتوم بن عبدالله بن محمد، الرسائل، مطبعة محمد،

قم، إيران، ٢٠٧٧م.

٩. الإمام الخميني قدس سره، روح الله الموسوي، تفسير سورة الحمد، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني قدس سره،١٩٩٣م.

١٠. الأنصاري الهروي، عبدالله بن محمد، ذم الكلام واهلهُ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٨هـ

١١. أية الله الشيخ السبحاني، جعفر، نظرية المعرفة، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ايران ٢٠١٠م.

١٢. أية الله جوادي أملي، عبدالله، نظرية المعرفة في القرآن، طباعة دار الصفوة، ترجمة دار الاسراء، قم، ايران.

١٣. الآلوسي البغدادي، شهاب الدين محمودشكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، دارإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.

١٤. آملي، العلامة حسن زاده، الإنسان الكامل في نهج البلاغة، مطبعة المكتبة الحيدرية١٩٩٧م.

١٥. آية الله الجلالي، السيد محمد تقي، علم المنطق، إنتشارات دار الهادي، قم، إيران، ٢٠١٠.

١٦. آية الله الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، تفسير الامثل، دار النشر لمدرسة الامام عليه عليه السلام ١٤٢٩هـ قم، ايران.

١٧. البزدوي، فخر الإسلام، أصول الفقه، طباعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران،١٤٣٢.

١٨. البغوي، عبد الله بن محمد، تفسير البغوي، دار الفيحاء، دمشق، سورية،

١٩٩٤م.

١٩. بن اسحاق الكندي، يعقوب، الرسائل الفلسفية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

٢٠. بن حنبل، أحمد، مسند احمد بن حنبل، مطبعة المعرفة، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

٢١. بن فارس، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٢٢. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٢٣. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، شرح المواقف، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م..

٢٤. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٢٥. حاجي، د. جعفر عباس، نظرية المعرفة في الاسلام، مطبعة الألفين، الكويت، ١٩٨٦م.

٢٦. الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٧. الحسيني، سليم، مصطلحات قرآنية، دارالرضا، قم، إيران، ١٤٢٨ هـ

٢٨. ديناني، غلام حسين إبراهيمي، فلسفة السهروردي، مؤسسةالدراسات والبحوث الثقافية، قم، إيران، ١٤٢٤هـ.

٢٩. الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٣٠. الرغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات القرآن الكريم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٣١. الريشهري، محمد، المعرفة في الكتاب والسنة، نشر مشعر، طهران، إيران، ١٣٨٨هـ

٣٢. السهروردي، شهاب الدين السهروردي، سه رساله از شيخ إشراق، نشر امير حسين، مشهد، إيران، ١٤٠٢هـ

٣٣. السهروردي، شهاب الدين يحيى، مجموع مصنفات شيخ الإشراق، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهني، إيران، ١٣٧٢هـ ش.

٣٤. الشهيد الحكيم، السيد محمد باقر، علوم القرآن، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، العراق، ٢٠١٠م.

٣٥. الشهيد مطهري، مرتضى، مدخل إلى العلوم الإسلامية، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م

٣٦. الشهيد مطهري، مرتضى، مجموعة المؤلفات، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

٣٧. الشهيد مطهري، مرتضى، روش رئاليسم، بستان كتاب، قم، إيران، ١٤٢٢هـ.

٣٨. الشيخ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي، تفسير نور الثقلين، دار الأمير، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٣٩. الشيخ الزرقاني، محمدعبدالعظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة دارصادر، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤٠. الشيخ السند، محمد، العقل العملي، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.

٤١. الشيخ الطبرسي، أمين الاسلام أبي علي الفضل بن الحسن،تفسير مجمع البيان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٤٢. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، تفسير التبيان، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م

٤٣. الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن، جوامع الجامع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٤٤. الشيخ الكليني، محمدبن يعقوب، الكافي، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٤٥. الشيخ المظفر، محمد رضا، منطق المظفر، طباعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٢٥هـ.

٤٦. الشيخ المفيد، محمدبن محمد النعمان ابن المعلم أبي عبدالله العكبري البغدادي، تصحيح الإعتقاد، دار الأمير، قم، إيران، ١٤٢٢هـ

٤٧. الشيرازي، صدر المتألهين، تفسير القرآن الكريم، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٤٨. صدرا، محمدبن ابراهيم الشيرازي، مفاتيح الغيب، مؤسسةالنشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٢٤هـ.

٤٩. صدرا، محمدبن ابراهيم الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الاربعة، انتشارات مصطفوي، قم، إيران، ١٣٧٩ هـ ش.
٥٠. الطريحي، فخرالدين، تفسير غريب القرآن، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
٥١. عبدالرزاق، مصطفى، تمهيد التاريخ الفلسفة، مطبعة جبارة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.
٥٢. العبود، الشيخ علي، محاضرات تمهيدية في الفلسفة، مطبعة وفا، ٢٠٠٨م
٥٣. العلامة الحيدري، السيد كمال، شرح كتاب المنطق، دار فراقد، قم، إيران، ٢٠١١م
٥٤. العلامة الطباطبائي، محمد حسين، مجموعة مقالات الطباطبائي، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
٥٥. العلامة الطباطبائي، محمد حسين، تفسيرالميزان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
٥٦. العلامة الطباطبائي، محمد حسين، نهاية الحكمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٣٠.
٥٧. العلامة المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
٥٨. العلامة محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة التمهيد، قم، إيران، ٢٠٠٩م.
٥٩. العلامة معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون، مؤسسة التمهيد، قم،

إيران، ٢٠٠٩م.

٦٠. العلامةالحيدري، السيد كمال، مدخل إلى منهج المعرفة عند الاسلامين، دار فراقد، قم، إيران، ٢٠٠٥م

٦١. الغزالي، الإمام ابي حامد محمدبن محمدبن محمد، المستصفى، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٦٢. الغزالي، الإمام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دارالعلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٦٣. الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، التفسير الكبير، دارإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٦٤. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

٦٥. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، دار الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٦٦. الكردي، د. راجح، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، الرياض، السعودية، ١٩٩٢م.

٦٧. لال نهرو، جواهر، لمحات من تاريخ العالم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣.

٦٨. لالاند، اندريه، المعجم الفلسفي، عديدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٦٩. لجنة التأليف، بمجمع للغة العربية في جامعة القاهرة، المعجم الفلسفي، ١٩٩٥م.

٧٠. لجنة التأليف في اكاديمية الحكمة العقلية، مناهج التفكير، مطبعة فاضل، قم، إيران.

٧١. محمود، د. زكي نجيب، نظرية المعرفة، دار القاهرة، مصر، ١٩٩٥م.

٧٢. مدكور، د.إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤونه المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م.

٧٣. مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دارالفكر، بيروت لبنان، ١٩٩٣م.

٧٤. المصري، الدكتور الشيخ أيمن عبدالخالق، اصول المعرفة والمنهج العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٧٥. الميرزا الطبرسي، حسين النوري، مستدرك وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

نجاتي، د. عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، سنة، ١٩٩٣.

فهرس المطالب

الفصل الأول: بحوث تمهيدية

الفصل الثاني: أدوات المعرفة في القرآن الكريم

الفصل الثالث: إطلالة على المدارس المعرفية